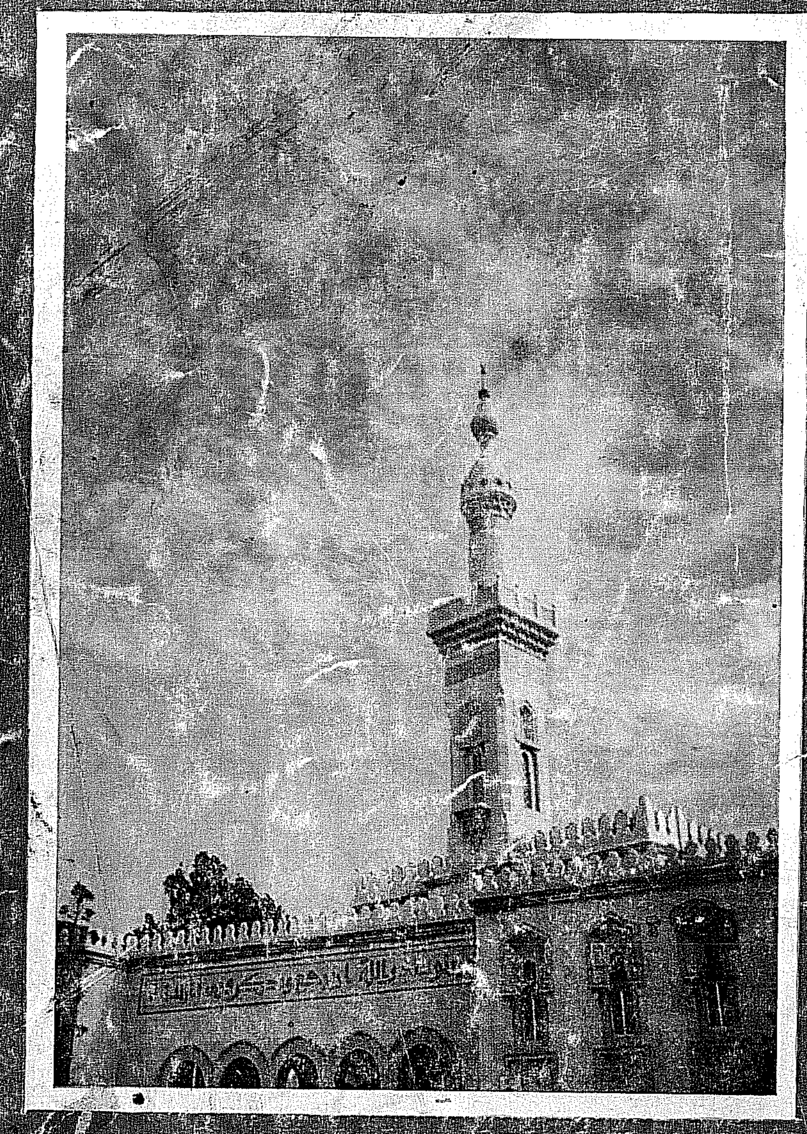
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد الخامس عشر – السنة الثانية – ربيع الاول ١٣٨٦هـ – ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٦م





في مسجد أم القيوين احدى الامارات بالخليج العربي حيث أدى حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المعظم صلاة الجمعة أثناء زيارته الاخيرة لامارات الخليج

الوعي الإسلامي

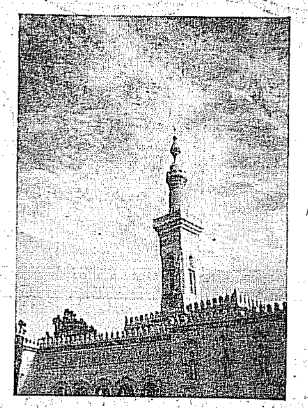
اسلامية ثقافية شهرية

العدد الخامس عشر ٠ السنة الثانية
غرة ربيع الاول سنة ١٣٨٦هـ
١٩ يونيو ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



مسجد المركز الاسلامي فى واشنطون ـ الولايات المتحدة
(انظر الغلاف الاخير)

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص ٠ ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

مبايعة ولي العهد
الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح

بايع مجلس الامة بالاجماع سمو الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح رئيس الوزراء بولاية العهد وذلك فى جلسته التاريخية الخاصة التى عقدها صباح يوم الثلاثاء ١١ صفر ١٣٨٦ هـ — ٣١ مايو ١٩٦٦ م وحضرها جميع الاعضاء .

وقد تمت هذه البيعة استجابة لتزكية حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم واجماع الشيوخ الموقرين أعضاء الاسرة الحاكمة .

ثم صدر بعد ذلك الامر الاميرى الآتي :

((نحن صباح السالم الصباح ـ أمير الكويت ،

بعد الاطلاع على المادة ٤ من الدستور ،

وعلى القانون رقم ٤ لسنة ١٩٦٤ فى شأن احكام توارث الامارة ، ونظرا لما نعهده فى جابر الاحمد الجابر الصباح من صلاح وجدارة وكفاءة لولاية العهد .

وبناء على تزكيتنا له ومبايعته من مجلس الامة بجلسته الخاصة المنعقدة بتاريخ اليوم ،

أمرنا بالآتي : ـ

مادة أولى : يعين جابر الاحمد الجابر الصباح ولي عهد دولة الكويت .

مادة ثانية : يبلغ أمرنا هذا الى مجلس الامة ، وعلى مجلس الوزراء ابلاغه الى من يلزم تبليغه اليهم . ويعمل به من تاريخ صدوره ، وينشر فى الجريدة الرسمية)) .

أمير الكويت
صباح السالم الصباح

صدر بقصر السيف فى ١١ صفر ١٣٨٦ هـ
الموافق : ٣١ مايو ـ أيار ١٩٦٦ م



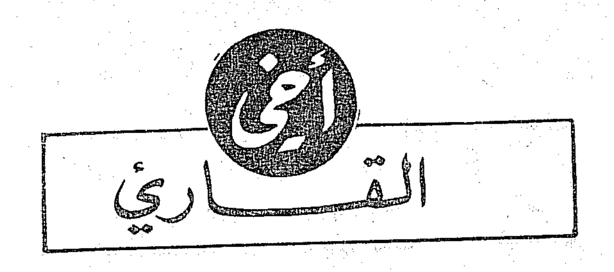
سمو الشيخ جابر الاحمد الجابر ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء اثناء حلفه اليمين الدستورية فى مجلس الامة بمناسبة مبايعته وليا للعهد وعلى يمينه أصحاب السعادة الوزراء..

وبين الفرحة الغامرة التى عمت أعضاء مجلس الامة بهذا الاختيار الموفق ، وتعليقاتهم التى عبروا فيها عما يتمتع به سمو ولى العهد من رصيد شعبى فى القلوب ، قام سموه وألقى أمام المجلس هذه الكلمـــة القيمـة : ــ

فى هذه اللحظات التى تغمرني فيها الغبطة بتزكية حضرة صاحب السمو أميرنا المحبوب اياى وليا للعهد ، وبمبايعة اخوانى أعضاء مجلس الامة الموقر ، أشعر بمزيج من السعادة والمسؤولية معا ، فليس أسعد لانسان من أن يحظى فى وطنه بثقة عاهل الدولة ، وممثلي شعبها الكريم وبقدر الثقة تكون المسؤولية ، ويكون الاحساس بها ، ولهذا لا يسعنى الا أن أسأل المولى جل وعلا ــ وأنا أشكره على فضله ــ أن يمدنى بعون من عنده ، حتى أكون عند حسن الظن والثقة بي ، لأخدم وطني وأمتي العربية المجيدة ، راجيا ان اسجل من أعماق القلب فى هذه المناسبة شكرى الجزيل لحضرة صاحب السمو أميرنا المفدى ، ولمجلسكم الموقر مسترشدا بقوله تعالى ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)) .

(والوعى الاسلامى) اذ تتقدم الى سمو أمير البلاد المعظم ، وسمو ولي عهده المحبوب ، والشعب الكويتى باصدق تهانيها ــ تسأل الله العلى القدير أن يجعل هذا العهد عهد يمن وخير وعز ونصر للعروبة والاسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم



كان من أعز امنياتي فى الحياة أن أستقر ولو شهورا فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وفى أرض القرآن والاخلاص البكر لله ورسوله ، والجهاد الحق فى سبيل عقيدته..وأعيش فى الجو الروحي لهذه الذكريات أغسل نفسي من أوضارها، وأشحنها بطاقة روحية تكون لي خير زاد فى هذه الحياة التي انحنينا فيها أمام التيار المادى ، وأطعمها بمصل وقائي يحصنها ضد أوبئة النفس التي ملأت علينا الأجواء من حولنا ..

وحقق الله لي ـ بفضله ـ هذه الأمنية ، وعشت فى المدينة شهورا ، وكان من توفيق الله وارادته لي أن أقوم بتدريس تفسير القرآن الكريم فى معهدها العلمي .. فاذا فرغت من المعهد قضيت أكثر أوقاتي جالسا فى مكان أهل الصفة، أو ما نسميه الآن ((دكة الأغوات)) أعكف على قراءة القرآن وتدبر معانيه ، وأمامى قبر الرسول الذى أنزله الله عليه أتمثله عليه الصلاة والسلام فى كل آية ، وفى كل خطاب ، وفى كل حادثة يسجلها القرآن ...

كنت أشعر حينذاك بلذة تذكرني بقول احد العلماء ((أننا فى لذة لو شعر بها أهل السلطان لقاتلونا عليها)) .

كنت أحس معاني القرآن تتدفق جديدة وكأنها تنبض بالحياة .. وأقف طويلا عند الآيات التي تدافع عن الرسول أو تشهد له وتثني عليه ... أتأملها وأعيش فى جوها وأنا ساهم ، أنظر الى المقصورة التي تضم فى داخلها جسد ذلك الرسول الذى عاش فى حماية ربه وكنفه ، يحرسه ويعصمه من الناس . ثم أعيدها وأنا أتصور عبدا من عباد الله ، لا يدعه الله لنفسه ، بل يتولى الدفاع عنه ... ويرد السهام الموجهة اليه ..

فاذا تهور حاقد وشتمه ، وقال له : تبت يداك ، لا يتركه الله يرد عليه ، بل ينزل قرآنا خالدا يرد عليه ويقول : ((تبت يدا أبى لهب وتب ..)) .

وحين تتطاول عليه الألسنة تعيبه بأنه صار أبتر لا ولد له ، لا يرد صلى الله عليه وسلم عليهم ، ولا يرد أحد من أهله وصحبه ، ولكن الله هو الذى يرد ويدافع ، ويطمئن رسوله ، ويهدىء باله، ويشرح صدره، فقد أعطاه ما هو أعز من الولد، بل ماهو

أعظم من كل ما يملكه انسان ويفخر به فى هذه الحياة فيقول له ((انا اعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . ان شانئك هو الابتر)) أى المقطوع المحروم من الخير والهداية .

وحين يتهمونه وينتقصونه بأنه ساحر وكاهن ومجنون يرد الله عليهم اتهامهم ، ولا يترك الأمر له يرد هذه التهمة عن نفسه ، بل يقول الله لهم تارة ((وما صاحبكم بمجنون)) ويوجه اليه الخطاب تارة أخرى يأمره أن يسير فى طريقه ، غير مبال بهم ولا بتهمهم ، فيقول له : ((فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فاني معكم من المتربصين . أم تأمرهم أحلامهم بهذا بل هم قوم طاغون)) .

أقف طويلا عند هذا الدفاع وأمثاله فى القرآن ، وتستشعر نفسي العظمة التي لا تدانيها عظمة لعبد الله ومصطفاه .. يتهجم عليه خصومه فلا يرد هو هذا التهجم ، ويوجهون اليه الاتهامات فلا يرد هو عليهم ، ولا يرد أحد من أولاده ، ولا من أقاربه وصحابه ، ولكن الله مالك الملك القوى العزيز هو الذى يتكفل بالرد عنه ، ويعلن حمايته لرسوله ، وغيرته عليه ، ويسجل ذلك كله فى قرآن يتلى على مر الأجيال الى يوم القيامة ((والله يعصمك من الناس)) .

وتزداد نفسي احساسا بعظمة الرسول ، ويزداد ايماني به وحبي له عمقا ويقينا ، وأنا اقرأ ثناء الله عليه وتزكيته له وهو يناديه : ((يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا)) وانظر أمامى الى القبر الذى يضم البشير النذير ، والسراج المنير . وأقول ما أعظمك يا رسول الله يا حبيبه ومصطفاه .. وما أعلى منزلتك وأقربك الى ربك .. ان الله مالك الملك الذى يحيط بكل شيء علما ، هو الذى يثني عليك ويقول ــ وقوله الحق ــ انك السراج المنير .. فهل بعد ثنائه عليك ثناء ..

ان الانسان منا لتنفتح أوداجه ويتيه زهوا وغرورا ، حين يسمع كلمة ثناء عليه من انسان مثله ، قد يكون الدافع اليها نفاق أو حاجة ، وقد يعلم الانسان زيف هذا الثناء ، ولكنه مع ذلك ينتفخ ويزهو ..

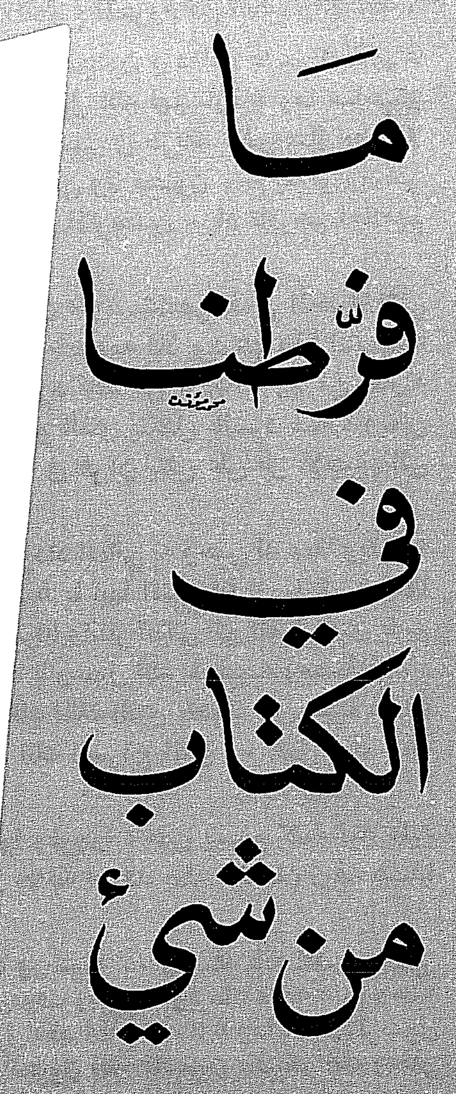
أما هنا فان الله هو الذى يثني على عبده ورسوله .. ويصفه بأنه السراج المنير الرحمة للعالمين ، وعلى خلق عظيم ، وبالمؤمنين رءوف رحيم . ويزداد عطفه عليه وحبه وتقديره له حين يقول فى كتابه ((من يطع الرسول فقد أطاع الله)) ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)) ((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)) .

فماذا نقول نحن ، وما وزن ما نقول بعد أن قال الله سبحانه :

((وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا)) .

رئيس التحرير

ما فرطنا في الكتاب من شيء



للدكتور محمد احمد الغمراوى
عميد كلية الصيدلة بجامعة الرياض سابقا

الأستاذ الكبير محمد احمد الغمراوى من علمائنا المعدودين الذين وضعوا كل مواهبهم العلمية فى خدمة القرآن وتعميق القيم والمبادىء الاسلامية فى النفوس ، وقد رغبنا أن يكتب لقراء « الوعي الاسلامي » فكتب هذا البحث التحليلي حول آية يطرقها المتحدثون كثيرا ويذهبون مذاهب شتى فى فهمها ثم هو لا يترك الموضوع بعد أن دلل على ما اختاره من رأى دون أن يقرر المبادىء التي يجب أن يلتزمها كل باحث فى القرآن . وهو بهذا يفتتح لقاء جديدا نأمل أن يستمر بينه وبين قراء « الوعي الاسلامي » بعد أن تلاقى الكثير منهم معه فى كبريات المجلات الاسلامية والادبية .

(الوعي الاسلامي)



معنى « الكتاب »

كلمات كريمة من الآية الثامنة والثلاثين من سورة الأنعام اختلف المفسرون في تفسيرها .

اختلفوا في الكتاب ما هو ؟ فمنهم من فسره باللوح المحفوظ كالزمخشرى ، ومنهم من فسره بالقرآن كأبى حيان . وفسره ابو مسلم والأصبهاني بالأجل المكتوب فيما ذكر الألوسي وحكى السيد رشيد رضا تفسيره بالعلم الالهى المشبه بالكتاب من ناحية الثبوت وذلك فى تفسير المنار .

أما تفسيره بالأجل المكتوب فسياق الآية يأباه كما قال الألوسي فى تفسيره روح المعاني . والآية الكريمة هي « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم . ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون » .

ومن الواضح أن لا مناسبة بين كون الدواب والطيور أمما كالناس وبين نفى التقصير فى تحديد آجالها .

وأما تفسير « الكتاب » بالعلم الالهى لأنه يشبهه من ناحية الثبوت فمردود لأمرين يجل العلم الالهي عنهما : أن الكتاب ــ أى كتاب ــ قابل للانتقاص والمحو ، وأن الكتاب ــ أىّ كتاب ــ محدود متناه ، والعلم الالهى لا نهائي فهو غير محدود ، وكل كتاب مهما اتسع هو بالنسبة اليه متضائل مفقود .

أما تفسير الكتاب باللوح المحفوظ أو القرآن فبكل ورد لفظ (الكتاب) فى القرآن الكريم ، فبمعنى اللوح المحفوظ ورد لفظ الكتاب فى الآية (٣٧) من سورة الأعراف . « فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ، أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله ، قالوا ضلوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » .

وبمعنى القرآن الكريم ورد لفظ الكتاب فى الآية (٤٨) من سورة المائدة : « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » الآية .

ما فرطنا في الكتاب من شيء

ومن الواضح أن الكتاب فى الموطن الأول من الآية الثانية هو القرآن ، وفى الموطن الثاني هو ما قبل القرآن من الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل اللذين سبق ذكرهما فى الآيات الأربع التي جاءت قبل هذه الآية . فأداة التعريف فى الموطن الأول للعهد ، وفى الموطن الثاني للجنس ، فهذا مثال للجناس التام فى القرآن لم يذكره علماء البيان اذ هم لم يحصوا من الجناس التام فى القرآن الا مثالين ذكرهما صاحب الاتقان فى علوم القرآن ، أحدهما فى سورة الروم والثاني فى سورة النور .

لكن ورود لفظ الكتاب بمعنى القرآن أغلب وأكثر من وروده بمعنى اللوح المحفوظ ، خصوصا فى أوائل السور المفتتحة بالأحرف المقطعة .

فبمعنى القرآن ورد لفظ الكتاب فى أول سورة البقرة : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين » .

وفى أول سورة آل عمران « الم . الله لا اله الا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه » الآيات .

وفى أول سورة يونس « الر . تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم » الآيات .

وفى أول سورة يوسف « الر . تلك آيات الكتاب المبين . انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » .

وفى أول سورة الرعد « المر . تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » .

وفى أول سورة الحجر (الر . تلك آيات الكتاب وقرآن مبين . ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » .

وفى أول سورة الكهف « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا » .

وفى أول سورة الشعراء « طسم . تلك آيات الكتاب المبين . لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » .

وفى أول سورة القصص « طسم . تلك آيات الكتاب المبين . نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون» .

وفى أول سورة لقمان « الم . تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة للمحسنين » الآيات .

وفى أول سورة الزمر « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين » . الآيات .

وفى أول سورة غافر « حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير » .

وفى أول سورة الزخرف « حم . والكتاب المبين . انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . وانه فى أمّ الكتاب لدينا لعلى حكيم » .

واللوح المحفوظ هو أم الكتاب . والتفريق فى التسمية بينه وبين القرآن فى هذه الآيات الكريمة له وزنه فى ترجيح أن يكون الكتاب فى قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » هو القرآن الكريم لا اللوح المحفوظ . وتزداد كفة الترجيح وزنا بورود (الكتاب) بمعنى (القرآن) فى أوائل السور الباقية من آل حا ميم — سور الدخان والجاثية والأحقاف .

هذا الرجحان يترقى الي درجة اليقين اذا تأملنا السياق ، لا فى الآية الكريمة وحدها كما يفعل أكثر المفسرين ، ولكن

فيها موصولة على الأقل بالآية قبلها والآية بعدها ، أى فى الآيات ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ من سورة الأنعام « وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ، قل ان الله قادر على أن ينزل آية ، ولكن أكثرهم لا يعلمون . وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شيء ، ثم الى ربهم يحشرون . والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات ، من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » .

فأولى هذه الآيات الثلاث تفيد أن المشركين كانوا يلحون على النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية أى معجزة حسية كمعجزات موسى وعيسى ، ويأبى الله عليهم ذلك للسبب الذى ذكر فى آية سابقة من نفس السورة « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » .

وذلك بعد أن كذب منهم بمعجزة انشقاق القمر من شاهدها ، وقالوا سحر مستمر ، فأهلكوا فى بدر وقبل بدر ، وبعد أن كان سائرهم قد كذب بالاسراء بعد أن قامت عليه الأدلة البينة بما وصف النبي من بيت المقدس لما طلبوا منه وصفه امتحانا واختبارا ولم يكن زاره قبل ، وبما ذكر لهم من أمر العبر التي شاهدها فى طريقه أثناء الاسراء ، ومن بعير كان ند من أهلها وتفرقوا فى طلبه ، وبما أخبر من مقدم العير ومن وقت قدومها ، والهيئة التي ستكون عليها عند القدوم ، وقد رأوا بأعينهم صدقه فى ما أخبر به عن مقدم العير ، وسمعوا بآذانهم تصديق أهل العير له فيما أخبر عنها قبل القدوم . فلو كان المشركون يقنعهم الدليل الواضح لصدقوا بعد هذا كله بخبر الاسراء ، واذن لآمنوا به صلى الله عليه وسلم ، ولكفوا أنفسهم المطالبة بما طالبوا به من آيات لو أجيبوا الى بعضها ولم يؤمنوا لأهلكهم الله طبقا لسنته فى الأمم التي كذبت قبلهم أنبياءها برغم ما شاهدوا من معجزات أجراها الله لهم .

لكن الله كان قد ادخر أكثر قريش لنشر دينه ، وادخر لهم الايمان بعد الفتح فتح مكة ، فكان من رحمته بهم أن أبى عليهم الآية التي طلبوا ، وكان من حكمته أن دلهم من آياته فى الخلق على ما من شأنه أن يهدى اليه سبحانه كل من يعقل ويفكر . منهم ومن غيرهم « وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » . وضمير الخطاب فى قوله تعالى (أمثالكم) خطاب لكل أمة يبلغها القرآن فى كل عصر . فهو فى العصر الذى نزل الوحي بالآية الكريمة خطاب للمشركين الذين قالوا « لولا نزل عليه آية من ربه » ففي الآيتين معا التفات عجيب من الغيبة الى الخطاب : بعد أن حكي عنهم ما قالوا على وجه التعجيب منهم ، التفت اليهم ينبئهم بآية بل آيات له فى الخلق أعظم وأبقى مما طلبوا :

ان كل نوع فى الأرض من الدواب أمة مثلهم لها سننها فى الفطرة ، ونظامها فى المعيشة ، وان كل نوع من الطيور أمة مثلهم كذلك . فالذى خلق الدواب والطيور أمما أمثالهم هو الاله الذى تجب عبادته لا ما كانوا يعبدون ولا ما كان يعبد سواهم من غير المؤمنين . فما حاجتهم وهذه آياته سبحانه فى الخلق ، يبصرون بعضها فيما حولهم من الصحراء ، وعليهم أن يفقهوا سائرها ـ ماحاجتهم بعد ذلك الى أن يسألوا الرسول دليلا من الله غيرها أى معجزة يشاهدونها يسيرا ثم تزول ، واذا لم يؤمنوا بها هلكوا ؟ ومن المفيد أن نتذكر أن سورة القمر نزلت قبل الاسراء ، وأن سورة الاسراء نزلت قبل الأنعام .

ان الطريق الى الله هو تفهم آياته فى خلقه من مثل ما نبهت اليه الآية الكريمة وآيات أخرى مثلها فى سورة الأنعام

وفى غيرها مـن سور القرآن . بـل ان القرآن قد أحاط بالخليقة كلها وبآيات الله فيها « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » فاذا لم يسمع الناس ولم يستجيبوا الى القرآن وقد بلغهم فسيحشرون الى ربهم يحاسبهم على ما كذبوا رغم ما بين لهم ودلهم عليه فى الخلق من آيات « ثم الى ربهم يحشـرون » وضمير العاقـل فى (ربهم) ينصرف أول ما ينصرف الـى الذين نزلت فيهم الآية الكـريمة ، اذ يطالبون رسول الله بآية تدل على الله الواحد ، وبين أيديهم فى الخلق آيات . وفى الاخبار عنهم بضمير الغائب بعـد ضمـير الخطاب فى قوله تعـالى (امم امثالكم) مثل آخر من الالتفات المنطوى على الاعراض عنهم من الله سبحانه ، لما أعرضـوا عن دلائله التـى اظهرها ونبههم اليها ، وفيه ايـذان لرسولـه وللمؤمنين ان يعرضوا عن هؤلاء الذين « ان يروا آية يعرضوا » ، واذا نبهوا الى آية فى الخلق دائمة تغنى كل الاغناء عن الآية الزائلة التى طلبوا ، لم يفقهوا ، وتمســكوا بضـلالهم الـذى ورثوا . وفى قوله تعالى « ثم الى ربهم يحشرون » ما فيه من التهديد لهم ان هم تمادوا فى تعنتهم وعنادهم ، ومـن التسلية للرسول وللمؤمنين ، حتى لا يهتموا لذلك الاعراض من المشركين الذين لا يريدون ان يسمعوا الحجة فكانوا صما ولا يأتون بحجة ولا ينطقون بحق فكانوا بكما ، ولا يقبلون الحق والهدى الذى جاء به الرسول ، وأناره لهم القرآن مع ما أوتوا من العقول ، فهم فى الظلمات لا يريدون ان يخرجوا منها « والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات » فهؤلاء أضلهم الله لعنادهم واعراضهم ، والمؤمنون بالله وآياته التى انزلها عـلى رسوله انما هداهم الله ، لاقبالهم على آيات الله يتدبرونها ليفقهوها حـتى فقهوا ، واستحقوا الهدى من الله « من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله عـلى صراط مستقيم » .

فقد تبين اذن من سياق الآيات الثلاث ان الكتاب فى قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » هو القرآن كما قال ابو حيان فى تفسيره البحـر المحيط . ويزيد ذلك وضوحا ان القرآن حـين نزل كان مخاطبا به العرب ، مشركوهم قبل مؤمنيهـم . ولم يكن المشـركون يعرفون ما اللوح المحفوظ فيفهموه من كلمة الكتاب اذا سمعـوا قوله تعـالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » وانما فهموا منها القرآن أول ما فهموا .

فكلمة الكتاب فى هذه الكلمات الكريمة اذن معناها : القرآن فى المكان الأول ، ثم يأتي اللوح المحفوظ معنى لها فى المكان الثاني ، كاحتمـال يبرره ورود الكلمـة بهذا المعنى فى القرآن الكريم ، كما فى آية الأعراف السابق ذكرهـا . ولا تخالف هناك فى المعنيين أن اجتمعا فى الآية ، لأن القرآن الكريم هو فى اللوح المحفوظ كما قال الله سبحانه فى سورة البروج « بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ » .

ان دلالة الكلمة القرآنية على معنيين غير متناقضين ولا يمنع مانع من صدقهما معا هو وجه آخر من وجوه اعجاز القرآن

لم يلتفت بعد اليه ، أو لم يوف حقه من التبيين . وهو ممكن فى القرآن غير ممكن فى غيره من كلام الناس . فالناس فى العادة يقصدون فى كل عبارة من كلامهم معنى محدودا ان عجزوا عن بيانه رموا بالعي . أما القرآن فهو كلام الله الذى لو شاء لعبر عن أحد المعنيين بما يدل عليه وحده . فاذا عبر بما يفيد أهل اللغة أكثر من معنى ، كان كل معنى يدل عليه الكلم القرآني دلالة صحيحة هو معنى مرادا لله ان لم يقم دليل على أنه غير مراد .

لكن التعبير اللغوى فى قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » يدل على الاستغراق عند من فسر الكتاب باللوح المحفوظ ، فهو لغة يدل على الاستغراق أيضا عند من فسر او يفسر الكتاب بالقرآن . فما دام ظاهر التعبير العموم والاطلاق فانه لا يصح تخصيصه وتقييده الا اذا قام على ذلك دليل . ولا ينبغى أن يكون الدليل عجزنا نحن عن تحقيق استغراق القرآن لكل شيء ودلالته على كل شيء فى الفطرة ، فاننا ندرك اليوم باتساع الكشوف العلمية معاني الآيات القرآنية المتعلقة بفطرة الكون ، لم يكن الأولون يدركونها ..

وسيأتي لا شك بعدنا من يدرك من معاني القرآن ما نعجز اليوم عن ادراكه ما دامت علوم الفطرة تزداد رقيا واتساعا باطراد .

فلنحذر اليوم أن نسد على انفسنا ابوابا من الهدى والعلم فتحها الله علينا فى القرآن بقوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » تعقيبا على قوله سبحانه « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم » فى سورة لعلها اكثر سور القرآن تذكيرا بآيات الله فى الخلق ، وتنديدا بأولئك الذين يعمون عن هذه الآيات الباقية للدارسين على مر العصور ،ولا يقنعون الا بمعجزات لا تجيء ان جاءت الا لتزول .

مقياس الفهم للقرآن

وكما ينبغي أن نحذر أن نحمل على كتاب الله عجزنا وقصورنا ، فكذلك ينبغي أن نحذر أن نحمل عليه هوانا ، فنفسره بما نهوى ونريد غير متثبتين ولا مدققين كما فعل اخوان الصفا مثلا ومن لف لفهم حين حملوه على ما قبلوا من فلسفة اليونان ، من غير أن يقيموا على ما قبلوا منها البرهان .

ان كتاب الله لا تنقضي عجائبه كما ورد فى حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، فاذا التمسنا عجائب القرآن التي لا تنقضي وجب علينا كي لا نضل عنها ، ان نتجنب الهوى والظن ، فان الهوى يضل ، والظن لا يغني من الحق شيئا ، كما علمنا الله فى كتابه فى أكثر من موطن . ولنكن فى بحوثنا القرآنية أدق وأحرص على الدليل ان أمكن من أهل العلم الطبيعي فى بحوثهم الطبيعية .

* * *

علينا أن نتأدب بما أدبنا الله به فى كتابه ، فهو سبحانه كما حذرنا من اتباع الهوى والظن ، حذرنا من التقليد لمجرد اكبارنا من نقلد ، كما يقلد بعضنا اليوم المستشرقين حتى فيما لا يفهمون من كتاب الله ، وحذرنا من ان نقفو ما ليس

ما فرطنا
فى الكتاب
من شيء

لنا به علم ، كما أمرنا بالتثبت وطلب البرهان .

* * *

ان أناسا من المسلمين اليوم يحكمون فى القرآن فلسفة العصر ونظرياته ، كما حكم اخوانهم بالأمس فى القرآن فلسفة اليونان ، بدلا من أن يجعلوا القرآن كتاب الله هو الحكم ، ويصححوا به أغلاط الفلسفتين . لكن هذا باب وحده قد يعين الله على توفيته حقه من البحث . انما الممكن الآن هو التنبيه الى أمور يجب على الناظر فى القرآن المجيد أن يتذكرها ويعمل بمقتضاها ، كي يتجنب الخطأ فى فهم القرآن وتفسيره وتأويله عساه أن يهتدى الى بعض عجائبه .

ان القرآن عربي . فعلى الناظر فيه أن يلتزم معاني كلماته ، كما كان يفهمها العرب حين نزل بها الوحي ، وان يلتزم قواعد العربية من الناحيتين النحوية والبلاغية كما قعدها العلماء .

والقرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فعلى الناظر فيه ألا يطابق الا بينه وبين ما ثبت أنه حق لا شك فيه . وهذا يخرج النظريات العلمية والنفسية . وما اليها من ميدان التطبيق ، اللهم الا أن تعرض تلك النظريات على القرآن مع الدقة فى الفهم والمطابقة ، فما وافقه منها كان القرآن لها ، وما خالفه منها كان القرآن شاهدا عليها بالبطلان .

والقرآن من عند الله . فمستحيل أن تتناقض آياته فيما بينها أو مع ما يثبت فى العلوم الكونية أنه حق فحقائق العلوم ويقينياتها ــ لا نظرياتها ــ هي التي تفسر بها الآيات الكونية فى القرآن . وكل فهم لآيات القرآن يؤدى الى تناقض بينها ، أو بينها وبين حق ثابت فى العلم ، هو فهم خطأ لا محالة ينبغي أن يجتنب وان اشتهر وسار بين الناس .

ثم بعد ذلك على الباحث عن معاني القرآن وعجائبه ان يتبع المنطق الصارم فى استنباطاته وعجائبه وتطبيقاته ، خصوصا فى المطابقة بين آياته وبين حقائق الفطرة كما ثبت فى علوم الفطرة أو العلوم الطبيعية كما يسميها الناس .

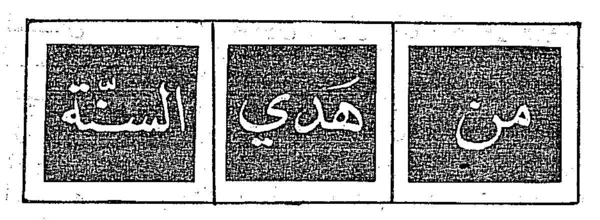
اما استتمام بحث قوله تعالى ((ما فرطنا فى الكتاب من شيء)) لننظر هل المطابقة تامة بين كتاب الله المقروء الذى هو القرآن ، وبين كتاب الله المشهود ، الذى هو الفطرة فذلك ما نرجو أن يوفق الله اليه فيما يأتي ان شاء الله .

الاستغناء

قال اعرابي لابنه : اياك ان تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه .

وقيل لأعرابي : ما السقم الذى لا يبرأ ، والجرح الذى لا يندمل ؟

قال : حاجة الكريم الى اللئيم .



[١] محمد رسول الله وخاتم النبيين

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ
« مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »
(رواه البخارى ومسلم) .

١ ـ الرسول الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، هو صفوة الله من خلقه ، ومصطفاه من عباده ، اختاره ربه ليحمل رسالته الى الناس كافة أبيضهم وأسودهم عربيهم وعجميهم « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(١) بل تعدت رسالته الانس الى الجن فكلفوا أن يتبعوه ويطيعوه « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستعمون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين » (٢) وأفرد الله تبارك وتعالى لهم سورة كاملة سميت (سورة الجن) بدئت بقول الله تعالى (قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ..) .

٢ ـ وبشر برسول الله صلى الله عليه وسلم كل من سبقه من الانبياء والمرسلين ، وورد اسمه صريحا أحيانا وتلميحا أحيانا أخرى فى الكتب التي

---

(١) الآية ٢٨ من سورة سبأ .

(٢) الآيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ من الأحقاف .

أنزلت عليهم ، قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام فى سورة الصف بالآية السابعة منها « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه احمد .. الآية) وقال تعالى « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) ٨١ من آل عمران .

وورد بالانجيل ما شهد به عيسى عليه السلام اذ قال للحواريين (انا أذهب وسيأتي البار قليط روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه انما يقول كما يقال له وهو يشهد على وأنتم تشهدون لانكم معى من قبل الناس بالخطيئة وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به » (١) . وترجمة البار قليط : (أحمد) . وورد فى آخر التوراة (جاء الله تبارك وتعالى من سيناء وأشرف من ساعير واستبان واستعلن من جبال فاران وجاء عن يمينه ربوات القديسين) (٢) وتفسير هذا أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى عليه السلام فى طور سيناء ، وأنزل الانجيل على عيسى فى جبال ساعير وهي بالشام (٣) وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فى جبال فاران وهي بلاد مكة . ومن ذلك أيضا قول الله عزل وجل لموسى عليه السلام (سأقيم لهم من اخوتهم مثلك أجعل كلامي على فمه ولا يتكلم الا بما آمره به) (٤) فمن اخوة بنى اسرائيل الا بنو اسماعيل ، ولو كان الله عز وجل يعنى أحدا منهم لقال : أقيم لكم نبيا منكم . ومن ذلك ايضا قول حبقوق المتنبيء فى زمن دانيال : (جاء الله من السماء والقديس من جبال فاران وامتلات السماء من تحميد أحمد وتقديسه ومسح الارض بيمينه وملك رقاب الامم) (٥) وقال ايضا (تضىء لنوره الارض وتحمل خيله فى البحر) فالى من ينحو هذا الكلام ، والى أين يذهب بهذا المعنى ؟ لئن ذهب به الى غير الذى تحمل خيله فى البحر ، وبدأ من جبال فاران أمره ، وغلب الارض ومسحها ، وملك رقاب الامم كلها لقد ترك الحق حينئذ واستهين به عن علم ويقين . (٦) .

٣ — بهذا الاسلوب الواضح البين ، والكلم الذى لا يقبل الجدل لبدوه وظهوره تتحدث كتب السماء عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين ، ويؤيد ذلك ويقويه ، ويمكن له فى القلوب ويثبته قول الله فى محكم الفرقان العظيم « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (٧) . قال القرطبي يروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام أتعرف محمدا كما تعرف ولدك هذا ؟ قال نعم وأكثر ، نزل الامين من السماء على الامين فى الارض بنعمته فعرفته . ولكن غلبة حب الدنيا وايثار العاجلة حمل القوم على التغيير والتبديل والانحراف عن الصراط المستقيم ، فحملوا تعاليم الله ولم يحملوها فاستحقوا ما وصفهم

---

(١) انجيل يوحنا فصل ١٤ آية ٢٦ .
(٢) سفر التثنية فصل ٣٣ آية ٢ ج ١ ص ٤٤٣ من الكتاب المقدس .
(٣) يلاحظ أن لفظ الشام كان يطلق على كل المنطقة (لبنان سوريا فلسطين) .
(٤) سفر تثنية الاشتراع فصل ١٨ آية ١٥ ج ١ ص ٣١٨ من الكتاب المقدس .
(٥) نبوءة حبقوق فصل ٣ آية ١٥ ج ٢ ص ٧٠٩ من الكتاب المقدس .
(٦) ص ٢٢٨ عصر المأمون ج ٢ للدكتور احمد فريد رفاعي .
(٧) الآية ١٤٦ من البقرة .

به القرآن الكريم « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين » (١) وارتضت القلوب الفاسدة والافئدة الخاوية من نور الله التضليل والاضلال ، وخطت أيدى السوء ما لم ينزل به الله سلطانا ، ثم قالوا هذا من عند الله كذبا وزورا « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » (٢) .

٤ ــ دع نقاش هؤلاء فحججهم واهية تحمل فى طياتها دلائل بطلانها ، وينم ظاهرها المضطرب عن خافيها المختلق ، وتعال نتأمل النور المحمدى كيف بدا ، ونرصد الارهاصات التي مهدت له فنمر سراعا ببعض الاحداث الهامة التي لامست جواء مكة قبيل صدور أمر رب العالمين الى رسوله بالتبليغ ، مبشرا ونذيرا .

أ ــ حادث الفيل

هو من ابرز الحوادث التي مرت بمكة المكرمة قبيل ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ من عظم شأنه أن خصه القرآن الكريم بسورة كاملة حكت خلاصة ما كان من أمره ، ومجمله أن ابرهة أراد هدم الكعبة لحاجة فى نفسه فسير جيشا تتقدمه الأفيال ، وتسامع أهل مكة بما كان فلاذوا بشعاف الجبال ، وأطلق زعيمهم عبد المطلب كلمة سارت مثلا (للبيت رب يحميه) وانشد وهو آخذ بحلقة باب الكعبة المشرفة .

لا هم ان العبد يمنـ ـع رحله فامنع حلالك (٣)
لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا (٤) محالك (٥)
ان كنت تاركهم وقبلتنـ ـا فامر ما بدالك

وزاد صاحب الروض الانف بيتا آخر : ــ

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

ولما اقترب كبير الفيلة من الكعبة ، حرن وبرك جاثيا على الارض ، ثم أرسل الله طير الابابيل على جيش أبرهة فأهلكتهم ، ونجى الله بيته وأهل مكة جميعا مما أريد بهم ، ولم يكن ليمر هذا الامر دون ان يسجله الشعر ولنجتزىء بقول أحدهم وهو عبد الله بن الزبعرى :ــ

تنكبوا عن بطن مكة انها كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالى حرمت اذ لا عزيز من الانام يرومها
سائل امير الجيش عنها ما رأى ولسوف ينبى الجاهلين عليمها
ستون الفا لم يئوبوا أرضهم ولم يعش بعد الاياب سقيمها (٦)
دانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

قالت عائشة رضي الله عنها : لقد رايت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان الناس .

---

(١) الآية ٥ من الجمعة . (٢) الآية ٧٩ من البقرة .
(٣) الحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي جماعة البيوت ويريد هنا القوم الحلول .
(٤) غدوا هو اليوم الذى يلي يومك فحذفت لامه ولم يستعمل تاما الا فى الشعر .
(٥) المحال بكسر الميم القوة والشدة قال تعالى « .... وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال » .
(٦) يقصد ابرهة فقد حمل عليلا ومات بصنعاء اليمن .

ب ــ الحادث الثاني . حلف الفضول :

وفيه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد شهدت بدار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت الى مثله فى الاسلام لأجبت) وقالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : لا . انه لم يقل يوما رب اغفرلي خطيئتي يوم الدين) (١) وقد كان ابن جدعان ، ويكنى أبا زهير ابن عم لها .

وسبب هذا الحلف . كما يرويه (السهيلي) صاحب الروض الأنف (أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف عبدالدار ومخزوما وجمح وسهما وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل ، وزبروه وانتهروه ، فلما رأى الزبيدى الشر أوفي على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ، وصاح مستغيثا بهم ، فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك ، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة فى دار ابن جدعان فصنع لهم طعاما وكان ذا سن وشرف فيهم،فتحالفوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفه وما رسى حراء وثبير مكانهما (٢) وقد حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ج ــ الحادث الثالث زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها :

١ ــ النساء شقائق الرجال ، وأثر المرأة فى حياة الرجل أى رجل واضح جلى ، فقد تكون سببا فى شقائه الأبدى ، كما ترسم خطة نجاحه الدائم ، فكفاح الرجل وصدامه مع الحياة خارج البيت يحتاج الى قلب كبير رحيم ينفض اليه جملة حاله اذا ألم بداره ، والمرأة سكن وراحة وأمن ورحمة ، وعامل دعة وسكون واتزان لسير الحياة ان احسنت ووفقت، ومثار هدم وخراب ونكال وعذاب واضطراب ان أساءت .

٢ ــ ويشاء العزيز العليم أن يبرز أثر السيدة خديجة رضي الله عنها فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام واضحا لامعا نقيا فياضا بالبركات والخيرات للدنيا كلها ، فقد كانت تلكم السيدة الكريمة ثاقبة الرأى ، بعيدة النظر ، فاقهة تماما لكل ما يدور حولها ، وما يحيط بها ، ملمة بالواقع الذى يحتويه محيطها ، متطلعة الى غد مشرق أسمى وأعز ، فلم يبطرها الثراء الواسع ، ولم يعش عيونها الجاه العريض ، ولم يركبها مراكب الصلف والكبرياء منبت كريم ومحتد عظيم ، التقت برجلين (٣) قبل (سيدنا محمد) وشاء الله أن يرحلا عن الحياة قبلها ، وأن يدعاها لمهمة سامية ، لترسم بسلوكها مع رسول الله الصورة المثلى للمرأة الرشيدة الحكيمة العاقلة الحصيفة الواعية ، المقدرة لوجودها كانسانة لها رسالة فى الحياة ، والتقت (بمحمد) يتاجر فى مالها ، ويعود مرة

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) ص ٩١ الروض الأنف ج ١ قال ابن قتيبة (كان قد سبق قريشا الى مثل هذا الحلف جرهم فى الزمن الاول فتحالف ثلاثة منها هم الفضل بن فضالة والثاني الفضل بن وداعة ، والثالث فضيل بن الحارث فلما أشبهه حلف قريش سمى حلف الفضول . الفضول جمع فضل وهي اسماء اولئك الذين تقدم ذكرهم) .

(٣) تزوجت أبا هالة بن زرارة التميمى ومات فى الجاهلية ، وبعد موته تزوجت عتيق بن عابد المخزومي ومات عنها أيضا (الاستيعاب) .

خادمها ميسرة يصف لها ما رأى وما سمع من شمائله وأخلاقه ونبل عاداته وعناية ربه به مضافا الى ما اشتهر به فى قومه من عفة وأمانة ومروءة وبذل وعطاء ، يقربه مجتمعه ولا ينكر عليه أحد شيئاً أبداً .

٣ — عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من رحلته التجارية ، وعاد معه ميسرة خادم خديجة ، وافاض لها فى الحديث الذى سمعه من راهب رأى محمداً بالشام ، كما قص عليها ما شاهد من سيرته أثناء رحلته معه ، وكانت خديجة رضي الله عنها كما أسلفت امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله لها من الكرامة فأرسلت الى (محمد) وندع الحديث هنا لابن اسحاق المؤرخ يخبرنا بما كان من أمر هذا اللقاء ، قال : « بعثت خديجة الى محمد فقالت له : يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك (١) فى قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه الزواج منها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا ، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه » (٢) فأخبر رسول الله أعمامه بذلك فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب ، فخطبها اليه فتزوجها ، ولم يتزوج عليها رسول الله حتى ماتت رضي الله عنها (٣) .

د — الحادث الرابع — بناء الكعبة : —

قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أرادت قريش أن تجدد بناء الكعبة فكان لها ما أرادت ، وقد روى ابن هشام أن عائذ بن عمران بن مخزوم قال يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا : ألا . لا يدخل فيها مهر بغى ، ولا ربا ، ولا مظلمة أحد الناس ... ولما وصل البناء الى المكان الذى يوضع فيه الحجر الأسود تنازعوا أمرهم بينهم حتى كادت أن تدور رحى حرب ضروس تأتي على أخضرهم ويابسهم فقال أبو أمية ابن المغيرة وكان عامئذ أسن قريش كلها : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من هذا الباب يقضي بينكم ففعلوا فكان أول داخل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا هذا الأمين ، رضيناه ، هذا محمد ، فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال : هلم الى ثوبا فأتى به ، فأخذ الحجر فوضعه بيده فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده الشريفة ثم بنى عليه . وبهذا حسم النزاع واطمأنت القلوب .

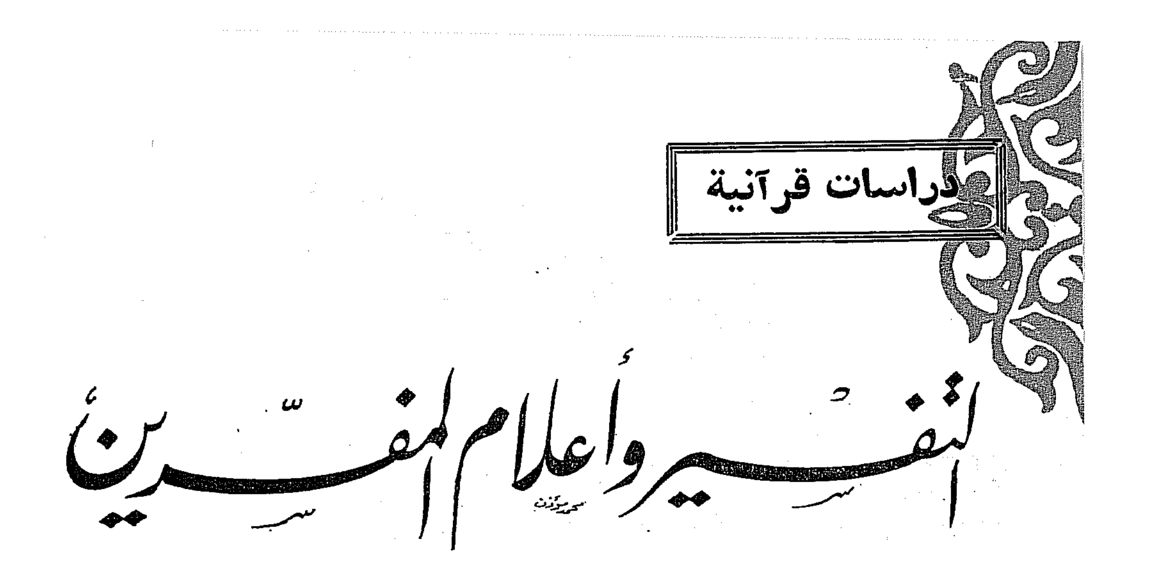
هذه هي الأحداث البارزة التي لامست جو مكة قبيل ميلاده صلى الله عليه وسلم وبعده الى وقت مبعثه ، ويبدو منها المكانة الكريمة ، والتصرف الحكيم ، والحكم الفصل فى تحركاته وأقواله وسلوكه العام والخاص ، مما يبشر بما سيكون له من شأن عظيم ، وما سيقوم به من قيادة للدنيا ، وحمل أضخم رسالة عرفها الوجود ، وقد عرضت لها لمناسبة حلول موعد ميلاده عليه الصلاة والسلام فى مثل هذا الشهر المبارك ، أما ما لاقى من نجاح ، وما بذل من جهد جهيد صيره سيد أولى العزم من الرسل ، وما قدمت رسالته للدنيا والآخرة من خير ورشاد وما أهاجت من حقد وعداوة عبر التاريخ والأجيال التي مرت بها من المارقين والمعاندين ، فلذلك أحاديث قادمة أن وفق الله وأعان وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

---

(١) وسطتك ـ شرفك ـ مأخوذة من الوسط مصدر كالعدة والزنةوالوسط من أوصاف المدح والتفضيل .

(٢) السيرة النبوية ج ١ ص ٢٠٠ ط مصطفى الحلبي القاهرة .

(٣) أما عون خديجة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أوحي اليه فسندخره لمقال قادم ان شاء الله تعالى .



١ ـ لم تكن وظيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصورة على التبليغ عن ربه ، فقد كلف مع التبليغ بيان ما يبلغه. يدل لهذا قوله جل ثناؤه لنبيه : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم (١) » ، « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (٢) . اما تلك الآيات الكثيرة التى تحصر وظيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البلاغ أو الانذار ، وما اليهما ـ فان الحصر فيها اضافى ، أريد به تذكيره صلى الله عليه وسلم بانه لا يهدى من أحب ، وليس من وظيفته حمل الناس على الايمان قسرا ، بل ليس هذا فى وسعه ، حتى لا يأس على عنادهم بعد أن دعوا ، ولا تذهب نفسه حسرات عليهم ، فيتسلى ويصبر ! ..

واقرأوا ان شئتم بعد هذا قول الله عز وجل لنبيه :

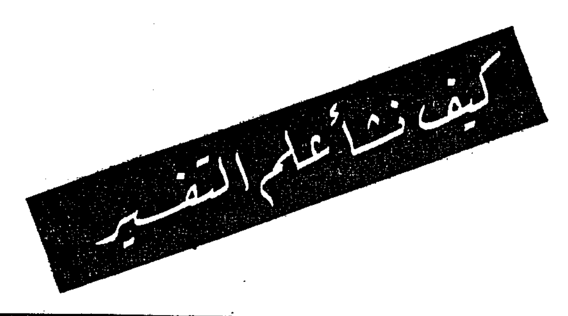
« ان عليك الا البلاغ » ، « انما انت مذكر » ، « ان أنت الا نذير » (٣) .

« ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء » ، « انك لا تهدى من أحببت »،« لست عليهم بمسيطر » (٤) .

« فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » ، « لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين » ، « فلا يحزنك قولهم » (٥) .

٢ : ـ من هنا جاء الأمر فى القرآن الكريم باتباع الرسول صلوات الله عليه وسلم ، فى كل ما يبلغه عن ربه ، وكل ما يبين به القرآن الكريم من سنته : قولا

(١) الآية ٤٤ : النحل .
(٢) الآية ٦٤ فى نفس السورة .
(٣) الآيات هي على الترتيب : ٤٨ فى الشورى ، ٢١ فى الغاشية ، ٢٣ فى فاطر .
(٤) الآيات على الترتيب : ٢٧٢ فى البقرة ، ٥٦ فى القصص ، ٢٢ فى الغاشية .
(٥) الآيات على الترتيب هي : ٨ فى فاطر ، ٣ فى الشعراء ، ٧٦ فى يس .



كتب التفاسير انطبعت غالبا باتجاهات اصحابها

بقلم : الدكتور مصطفى زيد
رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية
دار العلوم ــ جامعة القاهرة

كانت هذه السنة أو عملا أو تقريرا . بل جاء هذا الأمر مؤكدا ، حاسما ، فى أكثر من آية ، وبأكثر من أسلوب ، وحسبنا هنا هذه الآيات :

« من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

« يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » .

« يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

« وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا (١) .

ومن هنا أيضا ، اعتبرت السنة التي صحت روايتها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم ، اذ هي تفسِّر مبهمه ، وتفصل مجمله ، وتخصص عامه ، وتقيد مطلقه ، فوق ما تستقل هي بشرعه من أحكام جزئية وضع القرآن أصولها ، وأرسى قواعدها ...

٣ : ــ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول مبين للقرآن اذن ، ولم يكن بيان القرآن قد عرف بعد باسم التفسير . وعن رسول الله تناقل الصحابة ما بين به آيات من القرآن ، سئل عنها أو رأى أن يبين لهم المراد بها .

وقد كان من بين هؤلاء الصحابة (رضى الله عنهم جميعا) علماء بالقرآن اشتهروا بتفسيره ، كالخلفاء الأربعة ، والعبادلة الأربعة (عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو) وبعض كتاب الوحى كأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ثم أبى موسى الأشعرى ، وأبى هريرة ، وجابر ابن عبد الله .

كذلك كان من التابعين وتابعيهم علماء عرفوا بأنهم مفسرون للقرآن ، ومن بين هؤلاء أصحاب عبد الله بن عباس

---

(١) الآيات على الترتيب هي : ٨٠ فى النساء ، ٣١ فى آل عمران ، ٢٠ ، ٢٤ فى الأنفال ، ٧ فى الحشر .

بمكة : عكرمة مولاه ، ومجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير ، وطاوس بن كيسان اليماني ، وعطاء بن أبي رباح .

كذلك نجد من بينهم أصحاب عبد الله ابن مسعود بالكوفة : علقمة بن قيس ، والأسود بن يزيد ، وابراهيم النخعي ، والشعبي (عامر بن شراحيل) ، ثم عطية بن سعد العوفي وهو ضعيف .

كذلك كان من بينهم زيد بن أسلم بالمدينة ، وراوي تفسيره الامام مالك ابن أنس (١) ، ومحمد بن كعب القرظي ، والحسن البصري ، وأبو العالية (رفيع ابن مهران) ، وقتادة بن دعامة السدوسي بالبصرة .

وأخيرا نجد الربيع بن أنس بالبصرة ، ثم بخراسان . والضحاك بن مزاحم الهلالي بخراسان أيضا ، والسدي الكبير (اسماعيل بن عبد الرحمن) ، وهو حجازي سكن الكوفة .

وغير هؤلاء وأولئك كثير .

٤ : ــ وقد تلقى التفسير عن هؤلاء من جاءوا بعدهم ، تلقوه آثارا كانوا يتناقلونها بأسانيدها ، حتى تلقفها منهم أوائل المدونين في التفسير ، وشيوخ المحدثين من أصحاب الكتب الستة وغيرهم .

وهنا نحب أن نقرر أن التفسير المطبوع المنسوب للامام عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) ــ لم يرو كله عنه بأسانيد صحيحة ، فلا يصح أن ينسب على إطلاقه اليه . وانما يصح أن ينسب اليه منه ما روى بأحد الأسانيد الآتية :

١ : ــ مالك ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس .

٢ : ــ سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس .

٣ : ــ معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس .

أما رواية علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه فهي منقطعة . واما تفسير مجاهد بن جبر ــ ومعروف أنه كان من تلاميذ ابن عباس ــ فقد قال عنه أبو بكر بن عياش : (قلت للأعمش : مالهم يقولون : تفسير مجاهد ؟ قال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب (٢) .

وليس معنى كلامنا هذا كما هو واضح أن نرد كل ما روى عن ابن عباس في التفسير ، ولكن معناه أن ندرس أسانيد ما روى عنه ، قبل أن نقبله أو نرفضه ، فان وجدنا اسناده صحيحا قبلناه ، والا رفضناه !

٥ : ــ أما المدونون في التفسير فنجد من أقدمهم عبد الرزاق بن نافع الحميري مولاهم (٣) ، وهو الراوي الصدوق الثقة الذي قبل روايته وخرج له جميع المحدثين ، فقد دون من روايته عن شيوخه تفسيرا كاملا ، توجد نسخة مخطوطة منه بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، ويعتبر أصلا لجميع كتب التفسير بالرواية بعده .

كذلك نجد من بين القدامى محمد ابن جرير الطبري في تفسيره (جامع البيان ، عن تأويل آي القرآن ، وهو مطبوع مشهور متداول ، وسنعرض له ولصاحبه ان شاء الله في المقال الثاني .

أما المحدثون فنحن نجد منهم عناية

---

(١) روى تفسير زيد راو آخر هو ابنه عبد الرحمن ، لكنه شديد الضعف لا تقبل روايته ، فلا يحتج به . وهو الذي يعنيه المحدثون والمفسرون بالمأثور عند ما يقولون : روى ــ أو قال ــ ابن زيد . وتوفي بالمدينة سنة ١٨٢ هـ .

(٢) تهذيب التهذيب : ج ١٠ ص ٤٣ . (٣) توفى عبد الرزاق بصنعاء سنة ٢١١ هـ .

بايراد الآثار التي صحت روايتها في التفسير في أبواب كثيرة يجمعها اسم (كتاب التفسير) نجد ذلك في الجامع الصحيح لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري »(١)، وجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢) ، وسنن كل من الترمذي (عيسى بن سورة السلمي) (٣) وأبي داود (سليمان بن الأشعث الأزدي السجستائي) (٤) ، وابن ماجة (محمد ابن يزيد القزويني) (٥) ، وفي المجتبى للنسائي (أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب) (٦) .

اتجاهات المفسرين

٦ : ـ واذا كانت هذه هي نشأة علم التفسير ـ فانه لم يقف عندها ، بل عراه من التطور وتعدد المناهج والاتجاهات ما عدا غيره من العلوم ، فقامت الى جانب مدرسة التفسير بالمأثور مدرسة أخرى تعتمد في التفسير على الرأي : ومدرسة ثالثة تجمع بين الرواية والرأي ، وتعتمد عليهما معا في التفسير .

والذي لا نشك فيه أن ثمة عدة مفسرين استطاعوا أن يجمعوا في كتبهم بين الرواية والرأي في أمانة ، ودون شطط ولا انحراف .

غير أنا نجد مفسرا من أقدم المدونين في التفسير وأذكاهم كان يعتمد في تفسيره الاعتماد كله على الرأي ، أو يكاد . ثم لم يلتزم مع براعته في التفسير بالرأي أن يكون أمينا فيما يذكر في تفسيره من آثار . وهذا المفسر هو مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني المتوفى سنة ١٥٠ هـ ، وهو الذي قال فيه الشافعي ـ كما روى عنه من وجوه ـ : « الناس عيال على مقاتل في التفسير » ، وقال ابن المبارك لما نظر الى شيء من تفسيره : « يا له من علم لو كان له اسناد » . وقال نعيم بن حماد : (رأيت عند بن عيينة كتابا لمقاتل ، فقلت : يا أبا محمد ، تروى لمقاتل في التفسير ؟ قال : لا . ولكن أستدل به وأستعين) (٧) .

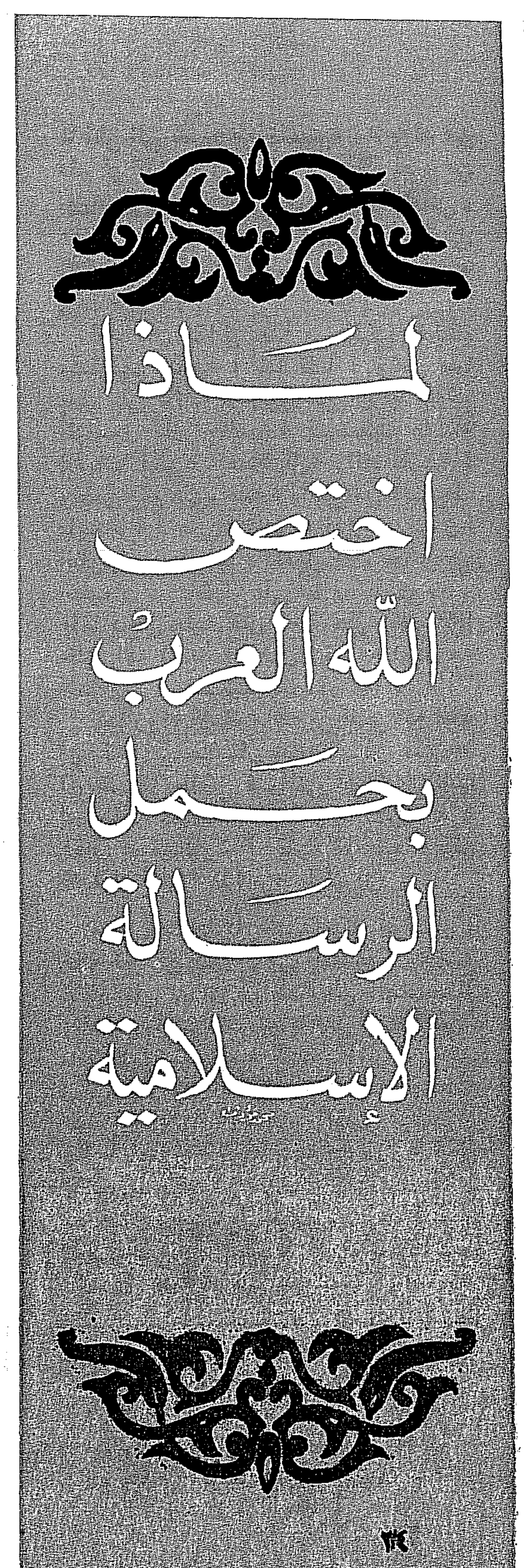
لقد كان مقاتل هذا من أذكى العلماء وأسرعهم بديهة ، كما قلنا . ولعل مما يدل على ذكائه ما روى من أن أبا جعفر المنصور كان جالسا ، فسقط عليه الذباب فطيره ، فعاد اليه وألح عليه ، وجعل يقع على وجهه ، وأكثر من السقوط عليه مرارا حتى أضجره ، فقال المنصور : انظروا من بالباب . فقيل له : مقاتل بن سليمان . فقال : عليَّ به . فأذن له . فلما دخل عليه قال له : هل تعلم لماذا خلق الله الذباب ؟ قال : نعم ، ليذل به الجبارين . فسكت المنصور (٨) .

وما رواه الامام مالك بن أنس أنه بلغه أن مقاتل بن سليمان جاءه انسان فقال له: ان انسانا جاءني فسألني عن لون كلب أصحاب الكهف ، فلم أدر ما أقول له . فقال له مقاتل : ألا قلت له أبقع ، فلو قلته لم تجد أحدا يرد عليك (٩) .

ومع هذا الذكاء الشديد في مقاتل ، فانه لم يكن يتورع عن الكذب ، ووضع الآثار على لسان من شاء من الصحابة والتابعين،حتى اشتهر بأنه من الوضاعين : مع تلفيق الأسانيد لهذه الآثار . وقد روى خارجة أنه مر بمقاتل وهو يحدث الناس فقال : حدثنا أبو النضر الكلبي . قال : فمررت عليه مع الكلبي ، فقال الكلبي : والله ما حدثته بهذا قط . ثم دنا منه فقال : يا أبا الحسن ، أنا أبو

البقية على ص ٤٠

(١) توفى البخاري سنة ٢٥٦ هـ .
(٢) توفى مسلم سنة ٢٦١ هـ .
(٣) توفى سنة ٢٧٩ وقيل سنة ٢٧٥ هـ .
(٤) توفى سنة ٢٧٥ هـ .
(٥) توفى سنة ٢٧٥ هـ .
(٦) توفى سنة ٣٠٣ هـ .
(٧) تجد هذه الآثار وغيرها في ترجمة مقاتل : ص ٢٧٩ جـ ١٠ تهذيب التهذيب .
(٨) تاريخ بغداد : جـ ١٣ ص ١٦٠ .
(٩) تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٢٨٢ .



لقد شاءت حكمة الله العلي القدير ان يختار جزيرة العرب عاصمة للاسلام ، ومعقلا لقوته ، ومركزا لانطلاق رسالته واشعاع نـوره وخيره علـى الخافقين ــ مشرق الارض ومغربها ــ وذلك لمـا امتازت به هذه البقعة من احتلال مكانة وسطى فى الكـرة الارضية ، واهميـة استراتيجية كبرى كجسر للاتصال بين الشرق والغرب،مع ما تمتاز به من تكوين جغرافي ، ومناخ جيد صحي ، ويجاورها بحار ذات اعتبار حساس فى نقل متطلبات وحاجيات التجارة الخارجية والداخلية والعالمية .

لهـذا لما قضى الاسـلام على مخازى الشرك والوثنية فى الجزيرة العربية ، طالب الرسول الكريم بتطهيرها من لوثات العقائد الفاسدة ، وامر باخراج اليهود والنصارى منها ، وأوصى فى مرض موته بان لا يبقى فى جزيرة العرب دينان ، وقد صرح الامام الشافعى رضى الله عنه فى كتابه ((الام)) بأن ثغور الحجاز البحرية وما يوجد فى بحره من الجزائر لهما حكم ارضه وبلاده ،فلا يجوز لامام المسلمين وسلطانهم ان يمكن احدا من غير المسلمين بالاقامة فيها لتجارة ولا لغيرها .

هـو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم .

للدكتور وهبه الزحيلي
وكيل كلية الشريعة بجامعة دمشق

وفى هذا ما يحقق حماية عاصمة الاسلام ويمنعنها كل عدوان وهوالاساس الذى ترتكز عليه سياسة الدول الحديثة فى حماية حدودها الطبيعية والجغرافية من غوائل اعدائها .

وكذلك شاءت قدرة الحكيم الخبير ان يحمل العرب امانة نشر رسالة الاسلام فى الماضى وفى الحاضر ، وذلك لا بسبب افضلية جنسية او عنصرية او قومية يتمتع بها العرب دون سواهم ، **وانما يرجع سبب ذلك الاصطفاء والاختيار لمزايا خلقية واجتماعية ، وعوامل فطرية واكتسابية وبيئية ، استطاع بها العرب نقل رسالة الاسلام الى امم الارض بكل جدارة أمانة واطمئنان .**

ويمكننى الآن ان اشير الى اهم هذه العوامل : ـ

اولا ـ ان لطبيعة بلاد العرب الصحراوية اثرا كبيرا فى نقل العقائد والمعارف والقيم والافكار الى غير العرب، لان الجو الصحراوى يمتاز بالانفتاح والانبساط، فلا يلتزم العربى بالاستقرار والسكنى فى اماكن معينة ، وانما كان ينتجع مواطن الكلأ والمرعى والماء ، لتأمين حاجياته فى اى مكان ، فكان هذا مهيئا للعرب للانطلاق والانتشار فى الارضدون تمسك برقعة خاصة يألفونها ، او بمأوى يكنون فيه . ولقد جاء القرآن الكريم متجاوبا مع هذه الطبيعة ، نابذا فكرة التزام الوطنالضيق محببا للناسالنزوح فى البلدان والتماس الخيرات ، منددا بأولئك المستضعفين فى الارض الذين لا يتمكنون من الجهر بدعوتهم ، وممارسة شعائرهم الدينية . قالتعالى « يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فأعبدون » (العنكبوت ـ ٥٦) وقال سبحانه : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا: الم تكنارض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا » (النساء ـ ٩٧) .

ثانيا ـ يتميز العرب باستعداد فطرى خاص فى حفظ العلوم ، وقصص التاريخ والاشعار والانساب ، فكان الواحد منهم يمتاز بقدرة عجيبة مذهلة فى الاستذكار

والحفظ وسرد الاحوال ، فاذا انطلق احدهم يحدث عن التاريخ او النسب او الشعر ، فكأنه يغترف من بحر ، وكأن ذاكرته اشد التقاطا ، واقوى استمساكا من آلات التسجيل الحديثة ، والتاريخ يحكى لنا أعاجيب الاحاديث عن الافذاذ المشاهير من العرب في كل علم من العلوم ، ولا سيما في نقل القصائد والشعر . ولهذا كانت وسيلة الاسلام الاساسية في الحفاظ على القرآن الكريم والسنة النبوية هي الحفظ في الذاكرة ، والتلقى بالمشافهة جيلا عن جيل ، نظرا لان الكتابة كانت قليلة وقد يعتورها الضياع والتحريف والتبديل . ومن هنا كان الاسلام في صناديق قلوب المسلمين تتفتح بالخير والفضل في البقاع المفتوحة ، فيتلقى الناس الاسلام عن قادة الفتح الاسلامى وجنوده من ينابيع صافية، وألسنة صادقة، وقلوب مؤمنة، دون حاجة الى الرجوع الى قرطاس او قمطر .

ثالثا — يمتاز العرب — بغض النظر عن جاهليتهم القديمة والحديثة — بمحافظتهم على بعض المثل العليا والاخلاق الكريمة التى تمكنهم من الالتقاء مع أهداف الاسلام ، وتحقيق غايته في هذه الحياة .

فهم كرام النفوس يتفانون في سبيل الضيافة، ويقدمون اعز ما يملكون لحماية الفضيلة ، وهذا المعنى قد حوله الاسلام الى بذل المال في اعتبارات انسانية سامية كاعانة الفقراء والمحتاجين، واغاثة الملهوفين، وتزويد الجيوش وامدادها بالمؤن والذخائر للدفاع عن كيان الامة وسيادتها، وفي سبيل تحرير الامم والشعوب مما تئن به من الظلم والطغيان والفجور وفوضى العقائد .

والعرب يتطلعون الى تحقيق الامجاد والبطولات ، ويتحلون بالشجاعة النادرة، والنجدة الفائقة والحمية الخارقة ، فاستطاع الاسلام ان يستغل هذه المعاني لتحقيق ما يرضى الله ورسوله ، ولنشر الديانة الجديدة في اصقاع المعمورة .

والعرب يحامون عن العرض والمروءة والشرف ، ويتفاخرون بالعفة والطهارة والنبل ، فجاء الاسلام منظما لقضايا الاسرة ، وما تتطلبه من هذه الفضائل ، ليصان المجتمع عن شيوع الرذائل، لتقوى الامة امام عدوها ، بسبب قوة افرادها، واحترام بعضهم لحقوق الآخرين وكرامتهم .

والعرب شم الانوف ، يأبون الذل والعار والسكينة والضعة ، بدافع العصبية القبلية والدفاع عن العشيرة ، فأمكن ذلك للاسلام ان يؤصل فيهم حب العزة والسيادة ، والحفاظ على شخصية الامة واستقلالها على اساس من الحق والعدل والرحمة ، لا على اساس الظلم والطغيان والاستبداد والتسلط « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

رابعا — يمتاز العرب بصفاء نفوسهم، وصراحتهم في مواجهة الامور ، وبساطة معتقداتهم ، حتى انهم لم يكونوا يعبدون الاوثان والاصنام لذاتها ، وانما من اجل أنها — في زعمهم — تقربهم الى الله القادر **« الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (الزمر — ٣) .**

وبساطة هذه العقيدة التى جاء بها الاسلام وعدم تعقيدها تيسر للناس قبولها ، لان العقائد المركبة ، والفلسفات الواهنة يصعب على النفس قبولها ، فلذلك لم تستطع العقيدة الوثنية ان تقف امام عقيدة الحق والبرهان ، فكانت

تتهاوى امام عقيدة التوحيد المتماسكة القوية الرصينة ، سواء فى فهمها وتعقلها، ام فى حقيقتها ومغزاها « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

واما الشرك فهو وكر الخرافات والاباطيل ، وباعث الظلم والاستبداد ، والمؤمن يعتقد انه اسوأ ما يصاب به الانسان فى روحه وعقله ومصيره ، ولذلك لم يقبل من العرب فى مبدأ الاسلام الا الاسلام او القتال ، تضييقا عليهم حتى يقبلوا الاسلام الذين هم اهله ورعاته وحماته ، فيؤدوا واجبهم الاكبر فى اصلاح المجتمع الانسانى ، وصيانة الحياة البشرية من عوامل الخراب والفساد ، واقتلاع جذور الوثنية المنافية لكرامة الانسان ، واهليته لهذه الحياة .

وقد تم للاسلام مقصده، فكان العرب روح الاسلام ورجاله الابرار، وكانت الامة العربية أقدر الامم على تبليغ رسالة السماء الاخيرة ، مضطلعة بها ماديا وادبيا ، جسما وروحا ومعنى .

خامسا — ان القوة التى تقوم عليها رابطة الدم والقبيلة العربية مع المحافظة عليها ، والذود عنها كانت خير نقطة ارتكاز لتحل محلها رابطة الاخوة فى الدين ، واقامة نظام دولة الاسلام فى المدينة المنورة فتحولت الحمية للقبيلة الى نصرة الحق، والاخذ بيد المظلوم ، وحماية الحرمات . وقد بدأ اتجاه العرب نحو هذه المعانى فى حلف الفضول الذى عقدته قريش وقبائل العرب فى دار عبد الله بن جدعان فى الجاهلية ، وحضره الرسول صلى الله عليه وسلم شابا قبل بعثته ، حتى انه قال عنه بعد البعثة النبوية « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لى به حمر النعم ، ولو دعى به فى الاسلام لأجبت » .

سادسا — ان طبيعة اللغة العربية وخصائصها فى حروفها واصواتها وسعة افقها ، وتوزع مخارجها وثبات كلماتها ، واصوات الحروف فيها ، وتناسب الفاظها ومعانيها ، وامتيازها على سائر اللغات بميزات معروفة ، يجعل هذه اللغة أقدر اللغات على حمل الافكار والعقائد ونقل المفاهيم الى الامم الاخرى، ولتحقيق وجه المعجزة الخالدة للرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، فكانت لغة القرآن هى لغة العرب ، لاظهار وجوه اعجاز القرآن الكريم على ممر الدهور والاعوام، ولتحدى العرب الذين كانوا امة البيان وفرسان اللغة وارباب الفصاحة، ولا يمكن تحديهم بغير لغتهم ، لانه لم تكن لغة اخرى تقع فى نفوسهم موقع اللغة العربية ، وكانوا يميلون بفطرتهم الى المحافظة على ما لا موجب لتغييره فى حياتهم ، فكان ثبات اصوات الحروف العربية ، كما نلفظها الآن فى لغتنا الفصحى، وكما جاء بها القرآن عاملا من عوامل توثيق الصلة وحفظها بين اجيال الامة العربية مهما تباعد الزمن ، وذلك مما اعتبر مدعاة للحفاظ على الامة الاسلامية بواسطة اللغة العربية — لغة الدين والتشريع والحكم — اذ انه يجب على المؤمنين تعلم اللغة العربية كما قرر ذلك الامام الشافعى رضى الله عنه فى رسالته التى وضع فيها اصول علم الفقه ، وقد جرى العمل على ذلك فى عهود الاسلام الى اواخر عصر العباسيين حيث كثر الاعاجم ، فصاروا يكتفون من لغة الدين بما فرضه فى العبادات .

سابعا — ان الحالة المعيشية الوسطى التى كان العرب يعيشونها ، وتقشف الاعراب بالذات، دون اخلاد الى الرفاهية والنعومة ، كانت مجالا مناسبا لتقلب

العرب فى ارض الله ، فكانوا اقدر من غيرهم على الكفاح والصبر وتحمل المشاق والجلد فى الاسفار . اما الاطمئنان الى الراحة والنعيم والاسترخاء الذى كان سائدا بين الامم الاخرى فلا يشجع على تحميلهم مسئولية جديدة لنشر رسالة، فضلا عن ان انتشار مثل هذه النعومات يكون عاملا من عوامل تمزيق الامة والاسراع فى تفتيتها وضياع كيانها .

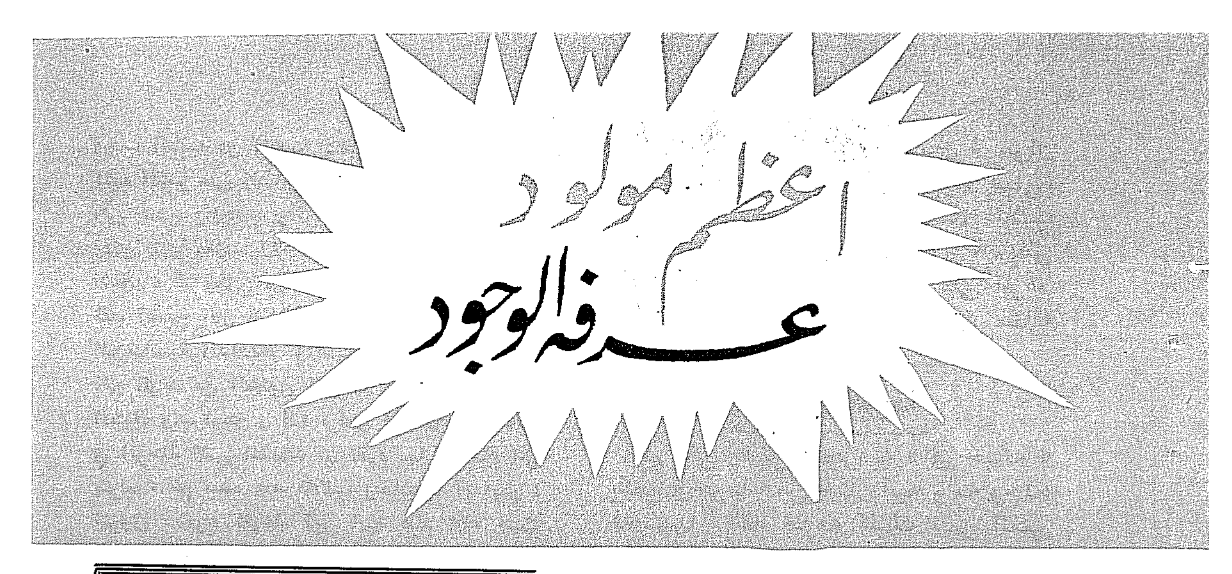
ثامنا ــ كان العرب امة امية لم تعرف شيئا من فلسفات الامم القديمة ، ولم تطلع على حضارات الاوائل الا ما عند النفر القليل منهم ، ولم يتعرفوا بالقراءة والكتابة على ما يتناقله الناس من كتب الديانات السابقة الا النذر اليسير « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (الجمعة ــ ٢) . فكان هذا الفراغ ادعى الى ملئه وشغله بديانة سامية ، خالية من الترهات والاباطيل ، لان الافكار البدائية والسطحية النظرة الى الحياة ، سرعان ما تقبل الافكار الناضجة ، وتنجذب نحو الفكرة المدعومة بالمنطق والحجة والبيان الجلى ، لان غزو الفكر بالمعقول اقرب من حشوه بالاوهام والخرافات .

تاسعا ــ ان الامم غير العربية ــ واخصها دولتا الفرس والرومان ــ وان كان لها من الملك ونفوذ السلطان ، ووفرة الثراء ما جعلها مضرب الامثال فى الابهة والعظمة ، فان هذا فى الواقع كان امرا ظاهريا فقط ، فقد فشا فيهم الخلود والراحة ، والتنعم بالحياة ، واستبداد الملوك والحكام والخلافات الدينية فى اوساطهم ، وناء الشعب بكثرة التكاليف والاعباء المالية ، حتى كرهوا الحكام وسئموا الحياة ، فكانت هذه الامراض الاجتماعية مؤثرة فى بنيان الامة، ومضعضعة لكيانها، والشأن فى امة مريضة كهذه لا أمل فى اصلاحها من داخلها ، فكانت صيحة الاسلام ، منبهة لعقول الغافلين ، ومثيرة الدعوات الى الاصلاح، فكان العرب رسل هذه الدعوة وحماتها .

والخلاصة ان العرب كانوا بحق خير دعاة لدين الاسلام ، وكان الاسلام شرفا عظيما لهم، وكانوا يتمتعون بخصال طيبة وميول سامية ، وحيوية فائقة ، ولكن ينقصها التنظيم والعقيدة الصحيحة ، فكان الاسلام امل العرب ، وطريق النور والهداية والانقاذ من الضلال والانحراف ، وكان العرب حملة مشعل الهداية والقرآن والمدنية والحضارة ، ورسل الحق والخير والعدل ، فنجحوا فى اداء رسالتهم ، ووفوا بواجب الامانة المحملة فى اعناقهم، فارتفع ذكرهم ، وعلت كلمتهم ، وطأطأت هامات الدنيا لسيادتهم وسلطانهم بعد اصلاح الاسلام لهم اصلاحا جذريا وصدق الله فيهم حيث يقول : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون (١) » « لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون (٢) » « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (٣) » .

---

(١) سورة الزخرف
(٢) سورة الانبياء
(٣) سورة آل عمران



للاستاذ ابو بكر محمد ذكرى
الاستاذ المساعد « سابقا »
في كلية اصـول الديـن

ولد كما يولدأبناء الاشراف من قريش لا يشعر أهله وذووه بأكثر من هزة فرح عابرة ، تعودتها بطون قريش من أصحاب التنافس على الجاه والسيادة ، عندما يجيء المولود ذكرا يرجى للدفاع عـن الحـوزة والتدافع الى حلبات المجد . وان يكن فى نفس أحد من أهله ما هو أكبر من ذلـك رجاء وأعظم أملا ، فما نظن ذلك يتعدى أمه الشريفة آمنة بنت وهب ، اذا صح ما روى من أنها أثناء حملها فيه رأت ضياء خرج منها وامتد وانتشر حتى رأت على تألقـه قصور بصرى والشام .. ومع ذلك لم تكن هذه الرؤيا لتغير شيئا من الواقع الرتيب ، أو تعدل من طبـاع البشر عندمـا أقبلت المراضع من البادية يطلبن الرضعاء ، وقبلن منهم كل من عرض عليهن ما عدا ذلك اليتيم العائل الذي لا خير يرجى من وراء ما يبذل فى حضانته من جهود .

وكانت عناية الله التى ترعاه وترصده ، كرصيد ثمين ، لمستقبل الانسانية ، قد ساقت اليه حليمة السعدية ، مضطرة ، أول الامر ، لانها لم تصب رضيعا غيره ، كما أصاب الاخريات ، وخشيت أن ترجع هي وحدها ، من بينهن ، منقوصة النصيب سيئة الحـظ .

وبعد محاورة بينها وبين زوجها « ابى كبشة » فى أمره فضلا ان يقبلاه مهما يكن الامر .. ولـم تكد تراه فى مهده حتى انعطفت اليه وفرحت به ، لما بدا على وجهه من مخايل لم تر مثلها على رضيع من قبله .. ويبارك الله لحليمة وبيتها بيمن هذا الرضيع المبارك فيتحول الجدب خصبا ، والفقر غنى ، والجوع شبعا وريا ، والشقاء سعادة فياضة .

وعندما يشرف الوليد على تمام الثالثة مـن عمره ، تحمله حليمة الى أمه ينعم بحنانها وتسعد بقربه .. ثم تلح عليها فى أن تعود مرة أخـرى ليصح ويصلب عوده فى جو البادية وهوائها النقي ويفيد فوائد أخرى .. وتنظر حليمة الى الناشيء العبقرى معجبة بنمائه العجيب ومواهبه الخارقة ، حتى كانما هو نبت آخر لا عهد لاحد به . وفى عامه الرابع يرون حوله من الارهاصات ما تدهش له حليمة ، وتعجز عن تفسيره وتخشاه عليه ، فتحمله الى أمه مرة اخرى .

وينعم بحنان امه قرابة عامين ثم ياتي ما كان قد خبأه له القدر . كانت أرادة الله سبحانـه قد اختارت له ، أزلا ، أن تزيده تجردا من علائق الدنيا فلا تكتفي بما ناله من اليتم والعيلة بعد فقد ابيه ، وهو لا يزال حملا فى بطن أمه .. لقد كتب له ان يحرم من حنان أمه كما حرم مـن حنان أبيه لكى لا يشتغل بحب أمه وحب أبيه

وحب الدنيا عن الحب الاعظم الذى سيفاض من قلبه الكبير على أمته ، وعلى كل ما هو فى حاجة الى الحب والحدب والرحمة من أبناء آدم وحواء، ولكى ينشأ مكابدا لآلام الحياة ممارسا لمكارهها منذ نشأته ، فلا يجزع من قدر ولا يخشع امام نازلة : لقد أصبح الان فى السادسة من عمره سن الحساسية الدافقة والخيال العميق ، والتطلع الى المزيد من الحلول لكل ما حوله من حقائق الحياة وأسرارها . لذا تراءى لها أن تستصحبه فى الرحلة التي اعتادت أن تقوم بها كل عام الى يثرب ، مع جده عبد المطلب وخادمتها أم ايمن ، لتروى بدموع الوفاء قبر ابيه عبد الله حيث يثوى هناك غريبا بين القبور لاكثر من ستة أعوام .. وعلى مجرى العادة فصلت العير بهم جميعا من أرض مكة تلقاء يثرب . وهناك عرفته من هو أبوه وكيف مرض أثناء عودته من الشام ، وقضى نحبه بيثرب عند اخوال ابيه عبد المطلب من بني عدى بن النجار . ولعلها ــ لكي تزيده من زاد التربية والتعليم ــ عرفته المرض الذى أودى بأبيه فحرمه حنانه قبل أن يرى ضياء الدنيا . وعرفته من هم بنو النجار اخوال جده عبد المطلب ، ولعل الناشىء الغض شاطر أمه فى ارواء قبر أبيه بالدموع ، والألم يعصر قلبه الغض فى قسوة تزداد فى هذه السن الحالة الملتهبة الخيال.

وبعد جولات ما بين مسارح الحياة ومطارح الموت ، يودع عبد المطلب أخواله بنى النجار عائدا بحفيده محمد وأمه آمنة وحاضنته أم أيمن . ولا يكاد الركب الحزين يقطع ثلاثة وعشرين ميلا من يثرب نحو مكة ، حتى تشعر الام الحنون بالداء يعصر شبابها وينزلها غريبة بين قبور قرية تسمى « الأبواء » فتتم بذلك الاحزان ، ويعود هذا الناشىء الغض تحت احمال من الآلام لا يعلمها الا من كتبها عليه واختارها له . وهنا يبلغ التجرد غايته ويواجه الناشىء الغض من لأواء الحياة ، ما هو حرى بأن يودى به لولا عناية الله .

ويجد عبد المطلب نفسه مأخوذا بواجب ، نحو حفيده ، لا يغفل عنه طرفة عين : ان يرعاه بكل عطفه وكل حسه وكل شعوره وكل عقله وقلبه لكى يخفف عنه بعض ما ينوء به . ولكن القدر المقدور لا يمهله لاكثر من عامين ، يمران مر الطيف على مأساة أمه بالابواء فيهيء له فجيعة أخرى فى جده عبد المطلب الذى يشيعه هو الآخر بالدموع ، ويظل يذكره بالدموع عصرا طويلا على الرغم مما كان يبذله عمه أبو طالب من عناية به وحدب عليه .

مرحلة الصبا

لم يكن مظهر التجردية « فى حياته » يكمن فى حرمانه من حنان أبيه وأمه وجده فحسب ، لقد حرمه كذلك من الغنى والثراء الذى يتيح للنشىء حياة الترفه والصيانة عن الشظف ، ويجنبهم مالا يحتملون من كدح . كان ميراثه كله خمسا من الابل ومولاته أم أيمن . رأى هو ورأى له كافله الفقير عمه أبو طالب أن التوازن الاقتصادى لحياته ، يلزمه أن يعمل ليربح عيشه .. وراح بالفعل يعمل فى الرعي لاهل مكة لقاء قراريط معدودة لا تسد أكثر من ضروريات حياته .. ولقد كان فى قدرة ربه أن يكفيه هذا الكدح بأن يفيض عليه موفورا من الثراء والنعم . ولكن يبدو أن الله سبحانه أراد أن يعلمنا بما اختاره له ، أكثر من حكمة .

١ ــ أراد سبحانه أن يعزى أحسن العزاء أولئك الذين يجتمع عليهم اليتم والحرمان . سيقول الواحد منهم اذا أحب أن يتعزى عن سوء حظه . وهل أنا أكرم عند الله من أكرم الخلق حتى أطلب ما لم يحظ به ؟

٢ ــ أراد سبحانه ان يعوده حياة الخشونة والكفاح التي هي أعظم عنصر عملي فى حياة القادة الابطال ممن أعدوا ليغيروا مجرى التاريخ من أجل سعادة الانسانية .

٣ ــ وان يعلم الناس أن العمل شرف ما دام المقصد منه خيرا وشريفا ، وأن الانفة منه والتحقير له ليس الا من صفات صغار النفوس ضعاف العقول .

٤ ــ وان يعوده الشفقة والرحمة والحدب على رعيته ، وتدبير أمورها لما

سبق له من المرانة على رعاية صغار الحيوان وضعافه . وهذه الحكمة هي التي ذكرها علماء السيرة .

ومهما تكن الحكمة فى ذلك فان العمل الشريف لا يحقره الا التفهاء وفى ذلك يقول أحد الادباء :

لا توجد أعمال شريفة تافهة وانما يوجد تفهاء يستصغرونها وهم أصغر منها . ولو لم يكن فى الرعي الا تعود الشجاعة على حياة البادية ، وما فيها من مخاطر لحياطة المال ودفع أذى الوحوش وغارات المغيرين عليه ، لكفى به درسا ثمينا للقيادة والسياسة والزعامة .

ولقد أبان لنا تاريخ عمر بن الخطاب كيف أفاد من حياة البادية وراء سرح أبيه الخطاب قدرات لا تتأتى الا لعباقرة الرجال . مرن على الفروسية حتى كان يوقف الجواد ، ويمسك أذنه باحدى يديه ثم يمسك اذنه هو باليد الاخرى ، ثم يثب فيستوي على ظهر الجواد دون أن يستعين بأية من يديه .

ومرن على المصارعة حتى أصبح بطلها الاول فى قريش ، وكان شباب قريش اذا ذاقوا الهزائم من مصارعى البدو الذين ينزلون فى الاعياد والمواسم لممارسة هذه الهواية ، يجيئون الى عمر يهرعون اليه لكي يثأر لهم من مصارعى البدو ، فكان ينجدهم ويمسك بالواحد من مصارعى البدو ويصابره ويطاوله بالدفاع حتى يتعب ثم يشدد عليه الهجوم فيصرعه بين التصفيق والهتاف، ثم يرجع الى مكانه محمولا على الاعناق فى دروب مكة مثل قائد منتصر ، ومهر فى تدبير الحيوان وتربيته وعلاجه ، حتى صار من أمهر أطبائه . وكان حتى بعد خلافته لا يرى فى حظيرة ابل الصدقة الا وهو يطلى بعيرا بالقطران أو يتحسس أعضاءه ليعرف مرضه ، ويروى أنه كان يدخل اصبعه فى دبره ليكشف مكامن دائه ويقول . اني لاخشى ان يسأل عمر عنك يوم القيامة .

وهكذا أعد محمد الناشىء الغض ليقوى فى بدنه وروحه على أعظم رسالة عرفها التاريخ ، وعلى الرغم من أن حياة الرعاة فى الطبيعة الطلقة مدعاة للانطلاق فان الله سبحانه عصمه من كل ما كانوا يقارفونه من لهو ومجون . كذلك عصمه من تقليد قومه فى كل ما هو شرك العادات والعبادات ، فلم يسجد .. ولم يتمسح به فقط ..

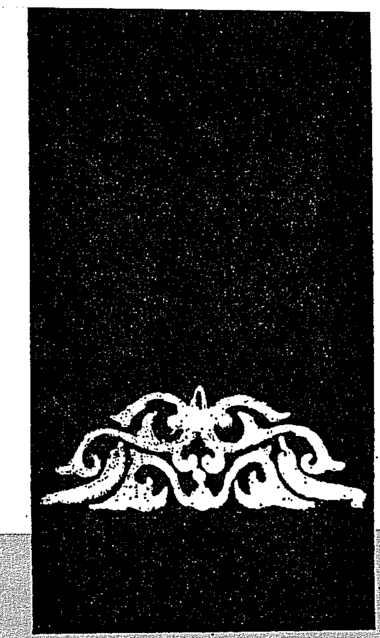
مرحلة الشباب

وما أن بلغ مرحلة الشباب حتى تفتحت فيه مواهب العبقرية ، فأعرض عن كل ما يحط بالقدر أو ينال من الكرامة أو يمس الفضيلة . وكان يمارس تجارة لن تبور من أخلاق الشرف والمجد والعفة والصدق والاناة والحكمة ، حتى لقد حسب قومه الامانة غريزة فيه وجبلة فلقبوه بالامين . وحكموه فى خصومتهم يوم حادث الحجر الاسود فآثر العدل والمساواة ، ولم ينصر قريبا على بعيد ولا صديقا على عدو . وبحكمه أنقذ الله قريشا من حرب كان فيها تقطيع الارحام وبث الاحزان ونشر الخراب .

وبهذه التجارة الرابحة من أخلاق السيادة ، اختارته خديجة بنت الشرف والثراء والعلاء ، ليعمل فى مالها ، تاجرا فسافر الى الشام ، وعاد بأرباح من المال ، وبما لم تكن تحلم به من أمانة واخلاص ومزايا لا تقدر بمال ، وبعجائب أخرى من توفيق الله ورعايته اياه وتمهيده له ، سمعت حديثها العجيب من غلامها ميسرة الذى كان قد سافر معه ورأى تلك العجائب رأى العين .

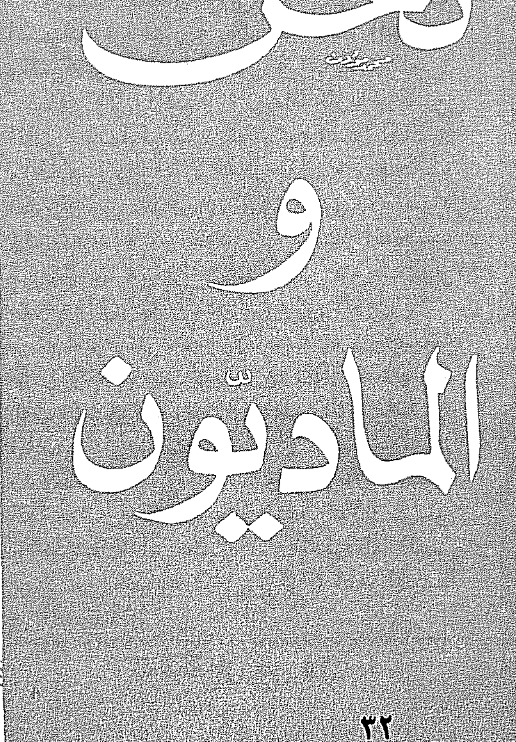
وسارعت خديجة باختياره زوجا ، فكان زواجه منها أيمن حادث فى حياتهما . كان فى حياته أول وأعظم الاسباب فى التمهيد لرسالته ، وكان فى حياتها أعظم ربح ظفرت به فى الدنيا والاخرة، وحسبها أنها بعد أن كانت على شفا الهلاك على جاهليتها ، لم تخرج من الدنيا الا الى بيت من قصب (أى لؤلؤ) أعد لها فى الجنة .

البقية على ص ٦٥



مناقشة عقلية حاسمة

أئمة الفكر الحر آمنوا



لا سبيل لاقناع من شذ طبعه

نريد ان ننبه منذ البـداية ، ان اى دليل يساق على وجود الله ، لا يمكن ان يدركه الا من كان سـوى الطبـع غير منحرف المزاج ، فالضوء لا تبصره سوى العين السليمة ، والوان الطيف لا يراها من كان مصابا بعمى الالوان ، والانغام الموسيقية لا يسمعها من كان به صمم ، ولا يتذوقها من كان جامـد العـاطفة ، وكذلك الشأن عند التحدث عن اللـه ، فليس يعيه ويدركه الا من كان سليم العقل والنفس معا ، اما هؤلاء الذيـن انحـرفت عقولهم واضطربت نفوسهم ، فلا جدوى من التحدث معهم عن الله ، لان كل حديث فى هذه الناحية لا يزيدهم الا جحودا وعنادا .

ومن حسن الحظ ان هؤلاء الذيـن شاهت عقولهم ونفوسهم ، هـم قلـة مسحوقة لا يؤبه بها وسط الخضم العارم من بنى البشر، ولا يخطئن احد فيتصور ان منكرى الالوهية هم من العلماء او من المفكرين ، فان اعظم من عرفت البشريـة من عقول ، كانوا عميقى الايمان باللـه ، ابتداء من سقراط وافلاطون وارسطو حتى ديكارت وكانت وهجل ، ونيوتن واينشتين ، فهؤلاء وألوف من أمثالهم ، ممن اعتبروا فى كل زمان ومكان أئمـة

للذين يقولون : لا إله والحياة مادة

بوجود الله . والمنكرون له منحرفون عن العقل والفطرة السليمة

للاستاذ احمد حسين المحامي

الفكر الحر الانسانى ، قد آمنوا بالله بقلوبهم وعقولهم معا ، وساقوا شتى البراهين والادلة العقلية على وجود الله، كل حسب منهاجه فى البحث ، والافكار السائدة فى عصره ، وما انتهت اليه **مختلف التجارب الانسانية وهذا ما يجعل واجبنا نحن الذين نعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين،حيث اصبحت تتوفر لنا تجارب كل من سبق ، وبعد ان ازدهر العلم وحقق الكثير من الآيات ، وما كان يعد من المعجزات ، ان نعيد صياغة هذه البراهين على وجود الله بما يتفق وآخر مفاهيم العصر ، وحقائق العلم ومناهج البحث .**

الدليل الاول : شهادة الوجدان

يخطىء من يتصور أن العقل الانسانى هو المصدر الوحيد لتلقى المعرفة ، فالعقل مرحلة تتأخر فى الظهور ، وهو لا يستطيع أن يمارس نشاطه الا بعد التعليم والتدريب ، واستيعاب ما يسمى بالعلم المتراكم ، ولكن المشاهد والمحسوس ، أن الانسان بل كل كائن حى ، يدرك المعارف اللازمة لحياته عن طريق قوة تسبق العقل فى الظهور ، وهى قوة الغريزة ، فالفرخ الصغير يلقط الحب ، بمجرد خروجه من البيضة ، والطفل يلتقم ثدى أمه بمجرد ولادته ، وهو يصرخ ويبكى ويقبل ويدبر بانفعالات طبيعية لا أثر فيها للعقل أو التفكير .

وهذه الانفعالات الغريزية ، هى التى تتطور الى عواطف من حب وبغض وتفريعاتهما . هذه الطاقة الانفعالية فى الانسان ، هى ما نعبر عنها بالوجدان وهو الاحساس والشعور فى مجموعهما ، وهذا الوجدان هو ينبوع كل ما عرف الانسان أو سوف يعرف من فنون ، فهو مصدر الغناء والموسيقى والشعر والرسم والقصص وكل مظاهر الابداع الفنى .

منبع المعرفة الانسانية

ويحلو للبعض أن يدخل فى مفاضلة بين الوجدان والعقل ، وأن يغلب أحكام العقل ، على ما يسمى حدس الوجدان ، وهى مقارنة لا محل لها ، فالمعرفة الانسانية حصيلة الغريزة والوجدان والعقل معا ، ولا يمكن فصلها عن بعضها، فمن الثابت المحقق أن الانسان قد نطق وتكلم أولا ، ثم وضع قواعد النطق والتكلم ثانيا ، وميز وأدرك قبل أن يضع مقاييس فكرية للتمييز والادراك ، وانطلقت عقيرته بالغناء وتكلم الشعر وعزف الموسيقى ، ورسم على الارض وجدران الكهوف ، وصنع الآلات قبل أن يضع قواعد للغناء ، وموازين للشعر ،

وسلما للموسيقى وأصولا للرسم ومبادىء للميكانيكا .

فالانسان قد عرف بوجدانه أولا ، ثم بعقله ثانيا ، فاذا رأينا البشر فى كل زمان ومكان ، على اختلاف العصور والبيئات، والثقافة والمعتقدات ، يؤمنون بوجود قوة علوية تعلو على الانسان وسائر الكائنات ، فان هذا الاجماع البشرى هو آية الآيات على وجود الله ، ما دام الايمان بالله هو فطرة فى كل نفس .

وليس يغض من شأن هذا الاجماع كما قدمنا فى أول هذا المقال ، أن يشذ بعض نفر وينحرفوا لعديد من الاسباب عن جادة الطريق ، فان الاستثناء يؤكد دائما القاعدة ، وانحراف العدد القليل هو برهان استواء الاغلبية الساحقة ، وما أكثر ما سجل لنا التاريخ البعيد والقريب ، ان الكثير من هؤلاء المنحرفين الذين يحلو لهم فى فترة من فترات حياتهم أن يشكوا وينحرفوا ، قد عادوا الى الجادة فى أخريات حياتهم (١) .

العودة الى الايمان بالله أبدا

ولا تقف هذه الظاهرة ، ظاهرة العودة الى الايمان بالله على الأفراد المنحرفين ، بل انها تنطبق كذلك على المجتمعات التى تنحرف فى فترة من الوقت عن طريق الدين ، فانها لا تلبث أن تعود بدورها الى طريق الدين ، ولسنا فى حاجة للعودة الى العصور الموغلة فى القدم فقد شهدت البشرية فى العصر الحديث تجربتين ضخمتين فى هذا الميدان تكفيان وحدهما لاثبات غلبة الايمان دائما .

ففى أواخر القرن الثامن عشر ، اندلعت فى فرنسا ثورة عاتية اقتلعت النظام الاقطاعى والملكى وأعلنت النظام الجمهورى ، ورأى قادة الثورة ان يذهبوا الى ما وراء ذلك بأن يقتلعوا العقيدة المسيحية من أساسها ، فأغلقت الكنائس وطورد رجال الدين ، وأعلن روبسبير انتهاء عبادة الله ، ليحل محلها تكريم العقل ، ونصب من نفسه كاهنا أعظم لما أسماه دين العقل ، وان هى الا بضع سنوات ، حتى كان الشعب الفرنسى يثور على الثورة ، ويعهد الى نابليون بالسلطان ، ويجعل منه قنصلا فأمبراطورا فديكتاتورا ، لأن نابليون استهل عهده باعادة فتح الكنائس والتصالح مع الدين ، والتصالح مع البابا الذى نصبه امبراطورا .

واذا كان يحلو لبعض المتكلمين من الفرنسيين أن يتحدثوا عن فرنسا كدولة علمانية لا صلة لها بالدين ، فان فرنسا قد أقامت أمبراطوريتها الاستعمارية على دعائم الصليبية والدين ، وقد سارت جيوشها حيث سبقتها جمعيات تشيرها ، وارسالييات الفرير والفرنسسكان والدومينكان والجزويت فى آسيا وافريقيا ، أشهر من أن تعرف .

الثورة الشيوعية

وما حدث فى فرنسا فى اخريات القرن الثامن عشر تكرر فى روسيا فى مطلع

---

(١) يذكر القراء ما أشرنا اليه فى مقالنا الأول (عدد شعبان) لأسماء بعض أعلام الكتاب العرب المحدثين ، وكيف بدأوا حياتهم الفكرية بالشك والقلق ، ثم انتهوا الى الايمان العميق ، وقد كان آخر هؤلاء الاعلام جريا على هذه السنة هو الدكتورطه حسين ، فنحن نعلم انه قد اشتهر عنه القول فى شبابه فى كتابه الشعر الجاهلى : « للقرآن أن يحدثنا عن أبراهيم واسماعيل ، وللتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، ولكن ذلك لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى » وقد انتهى به الامر الى أن يصرح أخيرا فى حديث تلفزيونى رآه وسمعه الملايين انه لم يعد يسمع من الاذاعة سوى القرآن المرتل ، ولما سأله سائل لماذا يفضل القرآن المرتل على القرآن المجود أجاب . لأن القرآن يقول « ورتل القرآن ترتيلا » .

القرن العشرين ، عندما استولى على الحكم قادة الحزب الشيوعى المؤمنون بالماركسية المادية ، والكافرون بالله ، فقد حاربوا الدين فى جميع صوره وأشكاله ، وأغلقوا الكنائس والمساجد ، ودور العبادة ، واضطهدوا رجال الدين وحرموا على أى متدين أن يلى عملا من الاعمال صغر أو كبر ، واليوم وبعد خمسين سنة من بدء هذه الحملة على الدين ، اليوم وبعد ان اصبحت روسيا من أعظم بلاد العالم قوة واقتدارا وانتاجا وعلما ، حتى أنها لتوشك أن تكون السابقة للوصول الى القمر ، فكان المنطق يؤدى ان تكون روسيا أكثر انكارا لله والاديان واقتناعا بوجوب القضاء على الدين ، ولكن الذى يحدث فى الاتحاد السوفيتى ، وفى كل البلاد الشيوعية هو عكس ذلك ، فقد أطلقت الحريات الدينية وأعيد فتح الكنائس والمساجد ، وتنصيب البطارقة ، وقيل انه لا تعارض بين الاخذ بالنظام الشيوعى وبين ان يبقى الناس على دينهم ، وفى بلد شيوعى كبولندا ترتفع تماثيل العذراء وصورها على كل بيت وفى كل شارع ، ويعلن أسقفها على رؤوس الاشهاد منذ أيام أن بولندا هى هصن الكاثوليكية فى أوربا ، وقد دعى البابا لزيارتها (١) .

فطرة انسانية

باطل اذن ما زعموه من أن الدين والايمان بالله هو مجرد عادة من العادات التى تأصلت فى الانسان عن طريق التلقين ، وأنه مظهر من مظاهر جهل الانسان وضعفه ، فها هو ذا الدين يعود ليزدهر فى الاتحاد السوفيتى بعد خمسين سنة من الحملة عليه ، بعد أن نشأت فى الاتحاد السوفيتى أجيال لم تتلق من التعليم الا كل ما يحقر الدين ، وبعد أن كان كل جهاز الدولة حربا على كل من تظهر عليه أعراض التدين ، وليس ذلك الا مصداق هذا الذى قلناه ، من أن الدين هو فطرة كل نفس ، ومعرفة جبلية فى الانسان .

واذا لم يكن هذا الاجماع البشرى على الايمان بالله دليلا كافيا وجود الله ، فلسنا نعرف كيف يمكن اثبات أى أمر من الأمور ، او قضية من القضايا .

الدليل الثانى . من أين تولد الشعور بوجود الله ان لم يكن له وجود .

على أن العقل من ناحية أخرى لا يمكن الا أن يرى فى هذه الظاهرة الاجمالية ، دليلا عقليا بحتا يستند الى بديهيات العقل التى لا يمكن للعقل أن يفكر الا بالاستناد اليها .

فاحدى بديهيات العقل تقول . أن لا شىء يولد من عدم ، والوجود لا يمكن أن ينشأ من اللا وجود ، فان فاقد الشىء لا يعطيه .

فلو أن هذا الكون يخلو من كائن أسمى يعلو على الانسان والمادة ، ويتصف بالكمال المطلق والقدرة المطلقة ، فمن أين جاءت هذه الفكرة واستقرت فى القلوب والعقول ، كيف يكون باستطاعة الانسان المحدود أن يتصور اللا محدود ؟ كيف يمكن للانسان الناقص أن يتصور الكامل ان لم يكن لهذا الكامل اللامحدود وجود بالفعل ؟ !

(١) نعتقد ان ذلك الذى يجرى فى روسيا والبلاد الشيوعية من اقرار لبعض مظاهر التدين لا يعتبر دليلا على تنازل الشيوعيين عن مبدئهم الذى يقول لا اله ، والحياة مادة ، ولا على رجوعهم عن نظرتهم الى الاديان بأنها افيون ومخدر ، وانما هو رضوخ للامر الواقع ، وسلوك سياسى يسترضون به بعض العواطف وقد جاء فى جريدة « الاخبار » القاهرية بتاريخ ١٩٦٤/٣/٣ « اعترفت صحيفة « برافدا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعى الروسى بان قسما من الشعب الروسى لا يزال متمسكا بالدين ، وطالبت بضرورة زيادة الدعاية اللازمة لوقف الايمان بالله » !! « الوعى الاسلامى »

ان الماديين الذين يقولون بأن الوجود لا ينطوى على غير المادة يعتبرون الفكر الانسانى ، أحد مظاهر المادة وانعكاسا لمؤثراتها فى العقل الانسانى ، فاذا كان الفكر هو انعكاس المادة ، فمن أين جاءت فكرة الكمال المطلق ؟ وكيف تملكت النفوس والعقول عقيدة الايمان بالله ؟ لا مناص لهم اما أن يسلموا بأن هذه الفكرة هى انعكاس لحقيقة مادية موجودة فى الخارج ، واما أن يسلموا بأن الفكرة يمكن ان تنشأ استقلالا عن المادة وسابقة عليها وهو ما يهدم نظريتهم من أساسها .

كل ما دار فى عقل الانسان على أنه موجود فقد كان أو كائن أو سيكون

والحق أن عصرنا الحديث ، عصر التجربة والاختراعات والآلات ، قد أثبت بالتجربة الحسية ، أن كل ما دار فى ذهن الانسان واعتبر فى وقت ما أنه وهم وتخريف قد تحول الى حقيقة واقعة . فما أكثر ما هزىء الهازئون من تصور الانسان فى الحكايات والقصص والمعتقدات الدينية ، قدرته التى لا حد لها عندما يعلم أسرار هذا الكون ، بحيث يصبح قادرا على تسخير هذه القوى الجبارة غير المتطورة مما أطلق عليها اسم الجن أو الشياطين أو الأرواح الشريرة ، أو فى صورتها الخيرة المتسامية ، قوة القديسين والأولياء الصالحين والملائكة .

وبهذه القوة دك الانسان الجبال ومسح المدن وجفف البحار وطار فى الجو وغاص فى البحر وحلق فى السماء وسمع ورأى على بعد ألوف الاميال وحول كل شىء الى ذهب .

ولقد اعتاد مفكرو المادة فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، أن يسخروا من هذه الاحلام والاوهام التى تجىء من الشرق على شكل ألف ليلة وليلة أو قصص السندباد ، وها نحن أولاء قد عشنا ، لنرى كل ما وصف فى يوم من الايام بأنه محض خيالات وأوهام ، قد أصبح حقا واقعا ، والصواريخ تنطلق نحو القمر وهى تنفث النيران كما لو كانت جنا وشياطين ، والطاقة الذرية تدك الجبال وتبيد المدن وتجفف البحار، ناهيك بالراديو والتلفزيون ، حيث أصبح الانسان بواسطتهما قادرا على أن يسمع الهمس ، ويرى الغمز مما يجرى فى الطرف الآخر من الدنيا ، أو مما سيجرى غدا على سطح القمر والمريخ .

لم يكن العقل اذن مخرفا ولا هو متخبط وهو يتخيل كل هذه الامكانيات المتاحة للانسان ، وكان وجود هذه الافكار فى رأس الانسان ، هو انعكاس لوجود قوى حقيقية فى الكون تقدره على فعل هذا الذى فعل .

وهكذا تكون التجربة قد دلتنا على أن ما يدور فى عقل الانسان لا يمكن الا أن يكون تعبيرا عن وجود حقيقى ، اما انه كان فى تاريخ مضى ، وهذا الذى يردده العقل هو من ذكريات ذلك الماضى ، واما انه كائن بالفعل ، وهذا الذى يردده العقل هو انعكاس ذلك الحاضر ، واما أنه سيكون فى المستقبل وهذا الذى يردده العقل هو أول مراحل الوجود (١) .

والحق أن الامر لا يمكن أن يكون الا كذلك تطبيقا للبديهية التى تقول « ان لا شىء يوجد من عدم » .

فالايمان بالله باعتباره قوة عليا ، تعلو فوق الانسان والكائنات وتهيمن عليها ، لا يمكن الا أن يكون حقيقة واقعة والا لما شقت طريقها الى قلب الانسان وعقله بكل هذا الشمول والاجماع .

الدليل الثالث . السبب الاول .

عمل العقل الانسانى الاول هو البحث وراء الاسباب والعلل ، وما عليك الا أن تتابع طفلك بمجرد أن تظهر عليه علائم الوعى والادراك ، وهو لا يفتأ يسألك عن

(١) اقرأ للمؤلف ، تفصيل هذه القضية فى كتاب « الطاقة الانسانية » .

كل شيء تقع عليه عيناه « لماذا » ذلك أن العقل لا يمكن أن يعقل حركة الا أن يكون لها سبب ، ولا أن يرى حادثا الا أن يكون له محدث ، او يرى شيئا مصنوعا الا وله صانع أو شيئا مخلوقا الا وله خالق . تلك هى وظيفة العقل التى لا وظيفة له قبلها أو بعدها ، وعلمنا الحديث كله انما يقوم على معرفتنا الاسباب والعلل خلف الظواهر الجوية ، والميكانيكية والكيمائية ، حتى أصبحنا نعال كل شيء، ونرد الاسباب الى مسبباتها ، ابتداء من سقوط الامطار حتى زئير الرياح وومض البرق واختلاف الليل والنهار والشتاء والصيف والمرض والصحة والحياة والموت وهكذا .

فاذا كانت هذه طبيعة العقل الانساني ، فكيف يطلب منا طالب ، أن نتصور أن هذا الكون كله من حولنا ، هذا الوجود بكل أسراره ونواميسه،بنجومه وشموسه وكواكبه ومجراته ، والارض بجبالها ووديانها وصحاراها وأنهارها ومحيطاتها، والحياة بنباتاتها وزهورها وثمارها ، والحيوانات بصورها وأشكالها ،والانسان بقدرته وطاقاته وفكره ، ان كل ذلك قد وجد بغير سبب ولغير سبب ؟ .

الحق انه لا يقول بذلك الا معتوه .

لا بد اذن من سبب ، وسبب اول يعلو على الاسباب كلها ، ومن الانصاف أن نقول ان الماديين لا ينكرون وجود السبب الاول ، وانما يجعلون المادة ونواميسها فى العصر الحديث هي السبب الاول ، وقديما كانوا يقولون الطبيعة أو الدهر هو هذا السبب .

ونحن فى هذه المرحلة من بحثنا لا تهمنا الاسماء التي تطلق على هذا السبب : طبيعة أو مادة أو نواميس ، أو صدفة ، حسبنا الاقرار بضرورة وجود سبب أول لهذا الوجود لان بديهية العقل التي اتفقنا عليها فيما سبق من أن فاقد الشيء لا يعطيه ، سوف تنتهي بنا الى أن هذا السبب الاول لا يمكن الا أن يكون قديما كبيرا قادرا حيا حكيما ، والا فمن أين جاءت الحياة ان لم يكن السبب الاول حيا ، من أين جاء هذا العقل الانساني ان لم يكن السبب الاول عاقلا أى حكيما ، من أين جاء السمع والبصر ان لم يكن السبب الاول مصدر هذه النواميس والسنن كلها .

وليس عند الماديين والطبيعيين ما يمنع أن تكون الطبيعة أو المادة قديمة قادرة عليمة حكيمة سميعة بصيرة ، ولعل ما ينكرونه على فكرة الالوهية هو ما يترتب عليها من علاقة الانسان بالله ، واستجابة الله لدعاء الانسان ، وتدخله لحل مشاكله وتقرير مصيره ، كما ينكرون أن يكون وراء هذه الحياة حياة أخرى ، وان يكون هناك بعث وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار .

والرد على هذه الاعتراضات ، يتطلب منا أن نتحدث عمن تلقينا منهم هذه المعارف الغيبية ، وهم هذا النفر من القمم الانسانية ممن نطلق عليهم اسم الانبياء والرسل ، والذين يعتبرون بأشخاصهم وسيرة حياتهم دليلا رابعا على وجود الله ، وقد كان هؤلاء الرسل هم الذين حدثونا عن البعث والنشور والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، وأقوالهم مما يطمئن لها الوجدان وترتاح لها العقول ، ولا تنفيه التجربة ، ولكن ذلك يحتاج الى تفصيل فالى المقال التالي عن الانبياء والرسل .

سجدة في طريق النور

كلُّ حصاةٍ في الطَّريق أَوْمأَتْ تنتظرُ
وكلُّ ذرَّاتٍ الأثير أقبلَتْ تكبِّرُ

* * *

والرِّيحُ من كلِّ اتجاه أيقظَتْ ربابَها
واسبلَتْ على جبينٍ أفقِها أهدابَها

* * *

واسترسلَتْ تعزف للسكون من صلاتِها
وتستَعيدُ شجْوَها همْساً على لهاتِها

* * *

وتُسْمِع الجبالَ من تسبيحها أنْغَاما
لم تدر كيف تحدرت من قلبها الهاما

* * *

والفجرُ من مزاره النَّعسان في وجه الوثَنْ
ردَّ خُطاهُ لخُطاً جديدة على الزمَن

* * *

جاءتْ تهزُّ مُطْرقاً أمامَ رب مُطْرقِ
كلاَهُما عبد لوهمٍ جاهلٍ ، ملفَّقِ !

* * *

جاءتْ تردُّ الظلْمَ مدحورا إلى طاغوتهِ
ندامة مذعورة تَصرخ في تابوتهِ

* * *

((مع الكون .. وهو يرتقب اول خطوة خارج الغار لنبى الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم))

للاستاذ محمود حسن اسماعيل
مراقب عام البرامج الثقافية بالاذاعة ـ القاهرة

جاءتْ ... تَوَّجُ نارُها تأوه المضْطَهَدِ
وتُضْرِمُ الإباء في جَبِينِهِ المستَعْبَدِ !

★ ★ ★

جاءَتْ .. ونورُ الله يَحْدو الخَطْوَ في طريقها
والكونُ يَسْتَافُ عبيرَ الصَّحْو من شُروقِها !

★ ★ ★

والبيدُ ليلٌ ضارعٌ في القيد حوْل الصنم
والناسُ أوهامٌ تدورُ في ضلالها المُلَثَّم !

★ ★ ★

.. في خَيْمة خَيَّمَ فيها الرِّقُّ منذُ الأزَلِ
وغمغَمَ الانسانُ حَوْلَ عُمْرِهِ المكبَّلِ ..

★ ★ ★

جاءتْ إليه ، تمْسَحُ الهوانَ من جبينِه
وتحصُدُ الإطراقَ والذِّلَّةَ من جُفُونِهِ !

★ ★ ★

جاءَتْ .. مِنَ الغار .. من النور خُطَا ((مُحَمَّد))
طُوبَى لِمَنْ خَفَّ اليها بِالضياءِ يَهْتَدِي !!

بقية دراسات قرآنية

النضر ، وما حدثتك بهذا قط . فقال : اسكت يا أبا النضر ، فان تزيين الحديث لنا انما هو بالرجال (١) .

٧ : — واذن ، فتفسير مقاتل بن سليمان — ومنه نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية — انما هو تفسير بالرأى ، وينبغي أن يؤخذ كل ما فيه من آثار — الا ما صح وهو قليل — على أنه من كلام مقاتل : ومن جملة تفسيره بالرأى . على أن يوضع فى الاعتبار أنه كان يتكلم فى صفات الله بما لا يحل ذكره ، وكان يقول بالتشبيه والتجسيم والارجاء . وأنه كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم . وهو يعد من أقدم التفاسير بالرأى ، لكنه لم يكن فى جملته أمينا : لا من حيث العقيدة ، ولا من حيث ما تضمنه من آثار .

٨ : — ومع نشأة المذاهب الاسلامية (فى العقيدة ، وفى الفقه) ، ومع تقدم علوم البلاغة والنحو وغيرهما من العلوم العربية — نشأت اتجاهات فى التفسير : لتخدم هذه المذاهب،ثم برزت تخصصات المفسرين فى تفاسيرهم للقرآن ، فعالم النحو يعنى بالاعراب ، وعالم البلاغة يهتم بالنكات البلاغية ، والعالم بالقراءات يظهر علمه فى تفسيره ، وهكذا .

وحين ظهر التشيع كمذهب سياسي كان للشيعة علماؤهم الذين يدعون لمذهبهم ، ويدافعون عنه ، ومن بين هؤلاء العلماء مفسرون للقرآن تكلفوا فى تأويل آياته ، لتنصر مذهبهم فى التشيع لعلي وآل البيت ! . .

ونشأ المعتزلة والجبرية الى جانب أهل السنة ، فكان للمعتزلة مفسرون يستمدون من مبادىء مذهبهم تفسيرا لبعض آيات القرآن ، ويتكلفون فى تأويل هذه الآيات لتطابق تلك المبادىء : ومن أشهرهم الزمخشرى ، والقاضي عبدالجبار . وكان للجبرية (أو الجهمية) مفسرون ، عمدوا الى آيات القرآن فاتخذوا منها أدلة لمذهبهم ، وراحوا يتكلفون كذلك فى تأويلها لتتفق مع هذا المذهب .

أما الفقهاء فقد انطبعت تفاسير معظمهم بطابع الاستنباط من آيات التشريع فى القرآن ، ومن ثم غلب على هذه التفاسير اسم احكام القرآن ، أو الجامع لأحكام القرآن ، أو ما أشبه ! . .

وهكذا وجدنا أنفسنا أمام تراث ضخم من الكتب التي عنيت بتفسير آيات القرآن ، وهي كتب فيها الآثار وفيها الرأى ، وفيها العناية بعلوم اللغة العربية وبالقراءات المأثورة ، وفيها الاهتمام ببيان أحكام الفقه مستمدة من آيات التشريع ، على اختلاف بين أئمة المذاهب وفقهائها فى الأحكام ، وفى طرق استنباطها من الآيات . وفيها الاهتمام كذلك بالمذاهب العقدية المختلفة ، ومحاولة الاستدلال لها بآيات من القرآن ، بدون تكلف حينا ، وبتكلف أحيانا .

وسنتناول ذلك كله بالبيان ان شاء الله فى مقالاتنا المقبلة ، فى هذه السلسلة .

التفسير والتأويل

٩ : — والآن ، لا بد لنا من وقفة عند كلمتى التفسير والتأويل ، لنبين المراد بهما ، وما بين التفسير والتأويل من فروق ، قبل أن نتحدث عن المفسرين فنعرف بهم ، ونبين مناهجهم فى تفاسيرهم .

أما التفسير فهو مأخوذ من الفسر بمعنى الابانة وكشف المغطى ، وهو يستعمل لاظهار المعنى المعقول . ومثله السفر لكنه يستعمل لابراز الأعيان للأبصار . ويقال سفرت المرأة عن وجهها ، وأسفر الصبح .

---

(١) تهذيب التهذيب : ج ١٠ ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .

فتفسير القرآن اذن هو توضيح معانيه وبيانها ، ويقتضي هذا شرح المفردات التي تتضمنها آياته .

أما التأويل فقد بين معناه أصحاب المعاجم بمثل قول الفيروزابادى فى القاموس المحيط : (وأول الكلام تأويلا وتأوله : دبره ، وقدره، وفسره . والتأويل عبارة الرؤيا) .

١٠ : ـ لكن الراغب الأصفهاني (فى مقدمة التفسير) يقرر أن أكثر ما يستعمل التفسير فى الألفاظ ، والتأويل فى المعانى، كتأويل الرؤيا . والتأويل يستعمل أكثره فى الكتب الالهية ، والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها . والتفسير يستعمل أكثره فى مفردات الألفاظ ، والتأويل أكثره يستعمل فى الجمل .

وقد ذكر أن التأويل نوعان : مستكره، ومنقاد . فالمستكره ما يستبشع اذا سبر بالحجة ، ويستقبح بالتدليسات المزخرفة المزوجة ، قال : (وذلك على اربعة أضرب :

الأول : ـ أن يكون لفظ عام فيخصص فى بعض ما يدخل تحته ، نحو قوله تعالى : « وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » ، حمله بعض الناس على علي بن ابى طالب رضى الله عنه فقط .

الثاني : ـ أن تلفق بين اثنين نحو قول من زعم أن الحيوانات كلها مكلفة ، محتجا بقوله تعالى : « وان من أمة الا خلا فيها نذير » ، وقد قال تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » ، فدل بقوله (أمم أمثالكم) انهم مكلفون كما نحن مكلفون .

والثالث : ـ ما استعين فيه بخبر مزور أو كالمزور ، كقوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » ، قال بعضهم : عنى به الجارحة مستدلا بحديث موضوع .

والرابع : ـ ما يستعان فيه باستعارات واشتقاقات بعيدة ، كما قال بعض الناس فى البقر انه انسان يبقر عن أسرار العلوم ، وفى الهدهد انه انسان موصوف بجودة البحث والتنقير .

أما المنقاد من التأويل فهو ما لا يعرض فيه البشاعة المتقدمة ، وقد يقع الخلاف فيه بين الراسخين فى العلم أما لاشتراك فى اللفظ ، أو لأمر راجع الى النظم ، واما لغموض المعنى ووجازة اللفظ .

١١ : ـ وقد وردت مادة التأويل فى سبع سور من القرآن هي : آل عمران : الآية ٧ ، والنساء : الآية ٥٩ ، والأعراف : الآية ٥٢ ، ويونس الآية ٣٩ ، ويوسف : الآيات ٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، والاسراء : الآية ١٧ ، والكهف : الآيتين ٧٨ ، ٨٢ .

وهو فى هذه الآيات كلها ، وفى جميع السور التي وردت فيها مادته لم يرد الا بمعنى الأمر العملي الذى يقع فى المآل ، تصديقا لخبر أو رؤيا أو لعمل غامض يقصد به شيء فى المستقبل . فليس فى أى واحدة منها بمعنى التفسير ، ولا بالمعنى الذى اصطلح عليه المتأخرون من أنه صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل .

واذا كان الطبرى قد التزم التعبير به فى بيان معانى الآيات بقوله : وتأويل الآية عندي ـ فلا بد أنه كان يريد به حقيقة ما يؤول اليه معنى الآية بعد تفسير مفرداتها ، والجمل الغامضة فيها ، فقد كان هذا دون شك هو ما أراده به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دعا لعبد الله بن عباس بقوله : ((اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل)) .

والآن ، بعد هذه الاشارة الموجزة الى نشأة علم التفسير وتطوره ، وبعد ذلك الالمام المركز باختلاف كتب التفسير فى أهدافها ومناهجها ، وبعد هذا البيان لكلمتى التفسير والتأويل وما بينهما من فروق ـ لعله قد آن لنا أن نفترق بعد أن نتواعد على اللقاء ، مع أعلام التفسير واحدا واحدا . وسنبدأ بتقديم شيخهم محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره جامع البيان . فالى عدد قادم والله المستعان .

القوانين المدنيّة في البلاد العربيّة

بين الاكتفاء والاستيراد

للشيخ عبد الحميد السائح
رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس

علمنا ان اخواننا العلماء فى الاردن يقومون بنشاط يهدفون منه الى استمداد القوانين المدنية من الشريعة الاسلامية وذلك بمناسبة النظر فى تعديل هذه القوانين .. وجرت مراسلات بيننا وبين فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد السائح رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس بهذا الشأن ، كان من نتيجتها ان ارسل الينا مذكرة وضعها بهذا الخصوص تعتبر بحثا قيما فىتاريخالقوانين المدنية وتطورها فى البلاد العربية قبل الاستعمار وبعده ، كما ارسل الينا مذكرة رفعها هو واخوانه العلماء (الشيخ محمد الشنقيطي ، الشيخ عبد العزيز الخياط الاستاذ ابراهيم زيد الكيلاني) الى دولة رئيس مجلس الاعيان بهذا الشأن ايضا .

وقد شفع المذكرة التى أرسلها الينا عن القانون المدني بخطاب جاء فيه هذا التوضيح :

١ ــ كان مشروع القانون المدنى الاردنى قد اجتاز المرحلة الاولى الدستورية بالموافقة عليه من مجلس النواب ، وارسل لمجلس الاعيان ، فاعترض علماء الاردن عليه ، وقدموا عريضة لجلالة الملك ، وعلى اثرها اصدر أمره بأن تؤلف لجنة من كبار رجال الفقه الاسلامى ، وكبار رجال القانون لاعادة النظر فى المشروع ، على أن يكون مستوحى من شريعتنا الاسلامية .

وقد الفت تلك اللجنة ، وبعد اجتماعات متوالية مع اللجنة القانونية فى مجلس الاعيان، تقدم العلماء بمذكرة اخرى الى المجلس ، يشرحون الاسباب التى تستوجب رده جملة دون النظر الى تفصيلاته .

وقد كان لهذه المذكرة أثر كبير فى جميع الاوساط ، ولا يزال مشروع القانون بين يدى مجلس الاعيان فى انتظار البت فيه .

٢ ــ اذا وفقنا فى تحقيق الفكرة التى هدفنا اليها ، فاننى ارجو أن تكون سابقة حميدة فى البلاد العربية ، وأرجو أن يحذو حذونا آخرون من البلاد الاسلامية العربية .

٣ ــ المهم أن نحيى فكرة العودة للاسلام عقيدة ونظاما ، وأن نبرهن على صلاحية الاسلام حقيقة لكل زمان ومكان ، وانه يمكن أن يسن منه قوانين فى سائر المجالات ، نؤمن للناس مصالحهم ، ونعيدهم الى ثروتهم الاسلامية الفقهية الخالدة ، وان نخرج بها من دور المتاحف والآثار الى دور القضاء والادارة والعمل وسائر المجالات الاخرى .

ونقدم للقراء فيما يلى هذا البحث القيم الذى كتبه فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد السائح .

القانون المدني

يقصد بالقانون المدنى قانون يبين أحكام المعاملات المدنية من بيع وشراء ، وشروط والتزام ومقاولة وكفالة ورهن ومداينة ، وتصرفات ونحو ذلك ، باستثناء أحكام الاحوال الشخصية ونحوها ، مما يخضع لقانون خاص ، واحكام خاصة .

وقد كانت البلاد الخاضعة لحكم الخلافة الاسلامية ، تحكم فى الامور المدنية بأحكام مجلة الاحكام العدلية التى اصبحت قانونا عاما منذ سنة ١٢٩٣ هـ ، ومن تلك البلاد ما يعرف الان بالمملكة الاردنية الهاشمية .

وان مجلة الاحكام العدلية لم تبق نافذة المفعول فى جميع احكامها ، بل دخلها الاخذ من جوانبها وحواشيها بتشريعات متعددة ، وقوانين مختلفة ، فى معظم المناطق التى كانت تطبقها ، حتى اصبح القليل منها هو النافذ عمليا فى المحاكم المختصة ، واخذ الحكام والمحامون والمتقاضون يشعرون بالحاجة الى وضع قانون آخر شامل ، واشتدت هذه الحاجة بروزا بعد تكوين الجامعة العربية ، وجنوحها الى ضرورة توحيد التشريع فى الدول التى تشملها الجامعة العربية .

ومع تقديرنا لفكرة الجامعة العربية وتأييدنا لها ، ومع تسليمنا بأن الحاجة ماسة لوضع قانون مدنى جديد يؤمن مصالح الناس ، ويحقق العدل فيهم ، فاننا نعتقد ان المشروع الجديد المعروض على السلطة التشريعية فى الاردن ، يعتمد على مصادر اجنبية ومأخوذ عنها فى اكثره ، وان تضمنت احدى مواده الاولى اعتبار مبادىء الشريعة الاسلامية من المصادر .

وقد عرض هذا المشروع منذ سنين على المجلس النيابى الاردنى فأجازه ، وارسل لمجلس الاعيان فرده ، وتطبيقا لاحكام الدستور الاردنى ، اجتمع المجلسان ، وبعد مناقشة للمشروع ، اتفق المجلسان على رده ، ثم اعيد بحثه من جديد ، فأجازه مجلس النواب الحالى ، ولا يزال فى مجلس الاعيان للتمحيص والبحث .

وقد جرى نقاش بشأنه فى الصحف وغيرها ، وعقدت بعض الندوات فى الاذاعة الاردنية حوله ، واختلفت الآراء ، فمن الناس من يتحمس للمشروع المعروض ، ويقول ان الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا اخذت به ، وهو لا يتناقض مع الاسلام . ومن الناس من اقام النكير عليه ، واعتبره آخر حلقات الاتصال بالاسلام فى التشريعات العامة مع ان دين الدولة الرسمى الاسلام ، ولهذه البلاد مكانة خاصة من حيث صلتها الوثقى بمصدر امجاد العروبة والاسلام ، ولذلك صدرت توجيهات سامية بضرورة تشكيل لجنة مختلطة من رجال الفقه الاسلامى والتشريع ورجال القانون لاعادة النظر فى وضعه على اسس الفقه الاسلامى ، بما يتفق مع مصالح الناس وعاداتهم وتأمين العدالة فيهم .

وقد تناقشت شخصيا مع عدد من رجال القانون والقضاء ، ولما اوضحت لهم ان الفكرة الصائبة المتزنة ، توافق على وضع قانون مدنى جديد ، غير ان هذا القانون يجب ان يكون مأخوذا من مصادر امجادنا ، وان ينبع من حضارتنا ، وان يعتمد على ابراز شخصيتنا ، وافقوا على الفكرة وارتضوها منهجا سليما .

ولا ريب اننا فى هذا العصر ، الذى ننفض فيه عن كياننا آثار الاستعمار فى مختلف النواحى ، ونتحرر من كل ما هو اجنبى بقدر الامكان ، لا يجوز ان نبقى عالة على الغير فى تشريعاتنا ، ونعتمد فى قوانيننا على مصادر اجنبية ، ونحن امة حية ذات ثروة فقهية غنية ، متطورة ، صالحة للاستفادة منها فى كل زمان ومكان ، ويمكن ان تجابه المشاكل المستحدثة ، ونجد لها الحل الشافى المؤمن لمصالح الناس ، والمحقق للعدالة فيهم .

الشريعة فى المحافل الدولية

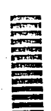
واود ان اشير الى بعض المواقف الدولية التى ابرزت تقدير هذه الثروة وضرورة الاعتماد عليها :

١ ـ سنة ١٩٣٧ انعقد مؤتمر القانون الدولى المقارن بلاهاى بهولندا ، وقدم فيه بعض علماء[1] الاسلام بحثين : أحدهما عن المسئولية الجنائية ،



(١) هو المرحوم فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر . انظر الرسالة الرابعة لمكتب شيخ الازهر للشؤون العامة .

القوانين المدنية ..



والمسئولية المدنية فى نظر الاسلام . والآخر عن علاقة القانون الرومانى بالشريعة الاسلامية، واتخذ المؤتمر القرارات التالية : —

اولا : اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .

ثانيا : اعتبار الشريعة الاسلامية حية صالحة للتطور .

ثالثا : اعتبار التشريع الاسلامى قائما بذاته وليس مأخوذا من غيره .

رابعا : تسجيل البحث الاول فى سجل المؤتمر واعتباره مرجعا فقهيا .

خامسا : استعمال اللغة العربية بالمؤتمر فى دورته المقبلة .

٢ — سنة ١٩٥١ خصصت كلية الحقوق فى باريس أسبوعا للفقه الاسلامى ، وطلب القائمون على امره الى علماء الاسلام تقديم بحوث معينة ، كما اطلقت لهم الحرية فى القاء ما يرونه من بحوث اخرى . ومن جملة البحوث المحددة : —

أ — اثبات الملكية

ب — الامتلاك للمصلحة العامة ، وهو ما يعرف بنزع الملكية .

ج — المسئولية الجنائية

د — تأثير المذاهب الاجتهادية فى بعضها .

وكان نقيب المحامين فى باريس رئيسا للمؤتمر فى الجلسة النهائية ، واختتم اعمال المؤتمر بكلمة قال فيها « لا ندرى كيف نوفق بين ما كان يصور لنا من جمود الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى ، وعدم صلاحيتها كأساس لتشريعات متطورة ، وبين ما سمعته فى هذا المؤتمر ، مما يثبت بغير شك ما عليه الشريعة الاسلامية من عمق واصالة ودقة ، وكثرة تفريغ وصلاحية لمقابلة جميع الاحداث » .

وانتهى الاسبوع بقرار : ان مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة قانونية تشريعية لا يمارى فيها ، وان اختلاف المذاهب يحوى ثروة تشريعية هى مناط الاعجاب ، ومنها يمكن ان يستجيب الفقه الاسلامى لجميع مطالب الحياة .. الخ .

ولا بد من الاجابة عن الحجة التى يتشبث بها بعض انصار القانون المدنى ، وهى ان هذا القانون اصبح نافذ المفعول فى معظم البلاد العربية ولا يسوغ ان تكون الاردن شاذة عنها .

وذلك ان القانون المدنى ، وضع فى تلك البلاد العربية فى عصور التخلف التى كان الاستعمار يهيمن فيها على جميع جوانب الحياة ، ومنها التشريع .

ويدلنا على ذلك ان السيد الاستاذ المستشار علي علي منصور رئيس محكمة طنطا السابق نشر مقالا بعنوان خواطر مستشار عن القانون الوضعى فى الجمهورية العربية ، وما نعاه عليه من اقتباسه من القانون الفرنسى ، تاركا كتاب الله واحكامه .. الخ ، ويتبين ان السيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة اصدر قرارات جمهورية بتشكيل لجان من رجال الفقه الاسلامى والقانون الوضعى، لمراجعة القوانين المعمول بها وتعديلها تعديلا شاملا كاملا يلائم ما وصل اليه الناس من تقدم اجتماعى على ان تكون مستوحاة من الشريعة الاسلامية وتقاليدنا ، منها لجنة لتعديل القانون المدنى ، وقد قطعت هذه اللجان شوطا كبير .. الخ(١)

فاذا بدأت اللجان فى الجمهورية العربية المتحدة فى اعادة النظر فى القانون المدنى وتعديله تعديلا شاملا على ان تكون احكامه مستوحاة من الشريعة الاسلامية ، فلا يجوز لنا فى هذا الظرف ان نلجأ نحن الى وضع ذلك القانون موضع التنفيذ .

وان قانوننا اعتمد على القانون المدنى السورى ، والقانون المدنى السورى لم يكن شيئا آخر غير القانون المدنى المصرى الصادر فى مصر والمنشور فى الوقائع المصرية فى تموز سنة ١٩٤٨ م ليطبق فى مصر فى تشرين اول ١٩٤٩ مع تعديلات طفيفة .. الخ(٢) .

واما فى العراق فقد ظل المشروع بضع سنين محل تردد ، منذ ان وضعه الاستاذ السنهورى ، ثم اقر فى عهد سابق .

---

(١) منبر الاسلام العدد ٣ السنة ٢٢ ربيع الاول ١٣٨٤ هـ .

(٢) الوجيز فى الحقوق المدنية لعدنان القوتلى جزء ١ صفحة ١٦ .

مصادر القانون

استمد القانون المدني المصري ـ وهو القانون المدني السوري والقانون العراقي ايضا ـ الاحكام الواردة فيه من ثلاثة مصادر رئيسية اصلية نوه بهـا في صدر مذكرته الايضاحية .

وأول واهم هذه المصادر كان التشريع المدني المصري ، نتيجة لاجتهادات المحاكم المصرية ، وان النصوص التي استقيت من هـذا المصـدر تكـاد تستغرق ثلاثة أرباعه .

وان التشريع المصري السابق واجتهاد القضاء المصري في تطبيق نصوص ذلك التشريع وتفسيرها ، كانا يسايران الى حد كبير الاصـول والتقنينات الغربية بعد ان ساد في مصر منذ عام ١٧٧٦ـ١٨٨٣ قانون مدني مستقى من القانون المدني الفرنسي او قائم عليه .. الخ(١) .

والمصدر الثاني : الشريعة الاسلامية او الفقه الاسلامي ، يرجع اليها القاضي اذا لم يجد حكما في التشريع او العرف .

والمصدر الثالث : هو التشريعات الاجنبية .

واكثر ما رجع اليه القانون من هذه التقنينات الاجنبية الحديثة المشروع الفـرنسي الايطـالي ، والقانون الايطالي الجديد ، والقانون السويسري ، والقانون الالماني والقانون البولوني ، وهكذا فان المصدر الرئيسي الذي يمكن الرجوع اليه عنـد الاقتضاء في التطبيق والتفسير هو التقنين المصري السابق المأخوذ عن القانون الفرنسي مع اجتهـاد القضاء المصري واحكام المحاكم المصرية(٢) .

ومن هذا كله تبين ان القول بأن القانون المدني لا ينافي الاسلام ، او انه مأخوذ عنه لا يتفق مـع الواقع ، الذي اعترف به رجال القانون .

وحينما اريد وضع قانون مدني في سوريا كان هناك تياران متعاكسان حول المصدر الذي يجب ان يستمد منه القانون المدني المطلوب .

احدهما : يتبناه ذوو الفكرة الشعوبية التي لا قيمة عندهم للتراث العربي او الاسلامي ، يريدون ان يكون مصدر القانون اجنبيا لا يصله بالفقـه الاسلامي صلة ما ، ومن هؤلاء من توغلت الشعوبية في نفوسهم الى درجة الحقد على المجد العربي ، والحرص على دفن كل ما له به صلة .

وثانيهما : يتبناه دعاة الوحدة العربية الذين يريدون ان يكون لنهضة العرب كيان عربي مستقل بخصائصه ، لا يذوب في غيره . ولا يتنكر لحضاراته التي ملأت سمع التاريخ وبصره ، وكان لها مـن الماضي الفقهي الحقوقي ، ما ليس له نظير في تاريخ امة اخرى ، وهؤلاء يرون ان القانون المدني ، يجب ان يستمد من الفقه الاسلامي في شـتى مـذاهبه ومصادره الواسعة ، ففي تلك المذاهب والمصادر مـن القابليات المختلفـة ، والنظريات القانونيـة والاصول والفروع ، ما قد وفى بحاجات العصور والحضـارات والاطوار المتلـونة المتنـوعة ، التي واجهتها الحياة العربية والاسلامية ، وصلح لان يبني منه صرح فقه مدني من اضخم ما عرف التاريخ ، فهذا الفقه اذا خرجنا به من نطاق المذهب الفردي الضيق ، وحرثنا مذاهبه المتنوعة الكثيرة حراثـة فنية حديثة ، ونفذنا الى منابعه الاولى الغزيـرة الفياضة بعناصر الحياة القانونية ، استطعنا ان نصوغ قانونا يضاهي بل يباهي احدث القوانين المدنية اليوم ، وتكون مكتبتنا العربية هي منبعه في الامـــداد ، ومـرجعه في الشرح والتفسير والاجتهاد .. الخ (٣) .

وفي شهر شباط سنة ١٩٤٩ تغلبت فكرة انصار بناء القانون المدني من الفقه الاسلامي ، فأوفدت وزارة العدل السورية بعض كبار القضاة فيها الى القاهـرة للاشتراك مـع الاستاذ عبـد الـرزاق السنهوري في وضع قانون مدني ، يكون اساسه الفقه الاسلامي ، مع اقتباس ما تـدعو الحاجـة الزمنية اليه من المبادىء القانونية الحديثة .

ولكن لـم تمض أيام على وصـول وفد وزارة العدل الى القاهرة حتى وقع الانقلاب العسكري الاول في سوريا ، الذي قام به السيد حسني الزعيم ، فالتف حوله بعض الانتهازيين من الفريق الأول وسلمهم وزارة العدل ، واقنعوه بان أعظم عمل يرفع شانه في نظر الأجانب هو أخذ قانون مدني أجنبي ، بدلا من التشريع الاسلامي وفقهه ، وقد وجدوا أن القانون المدني المصري الجديد يحقق هذا الغرض لأنه أجنبي المصادر : وقرروا وضعه موضع العمل بعد عشرين يوما من اقراره (٤) .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢٢

(٢) المصدر السابق صفحة ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) شرح القانون المدني السوري ، نظرية الالتزام العامة للاستاذ مصطفى احمد الزرقا صفحة ١٧ ـ ١٨

(٤) المصدر السابق صفحة ٢٠

القوانين المدنية ..

غير أنه بتأثير هذه الصدمة الشعوبية على أعظم تراث عربي وهو التراث الفقهي ، وما كان من رد فعل فى الرأى العام السوري ، جاء الدستور السورى الذى وضعته الجمعية التأسيسية فى سوريا سنة ١٩٥١ ، فى ظل الانقلاب الثالث ، فتدارك هذه الخطيئة ، وقرر فى المادة الثالثة منه أن : الفقه الاسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع.

وبناء على هذا النص أصبح القانون المدني الجديد مخالفا للدستور لأنه أجنبي المصادر ، فألف المجلس النيابي السوري حينئذ لجنة لتعديل القانون المدني وتجديده بما يتفق ونص الدستور من حيث المصدر ، وبدأت اللجنة عملها ، فلما جاء الانقلاب الرابع وحل المجلس النيابي توقف عمل اللجنة .

نظرتنا الى المجلة

وقد لاحظت أن بعض الأشخاص الذين يحاربون فكرة القانون المدني ، ينظرون الى المجلة نظرة تقديس ، كأنها شيء الهى لا يجوز تعديله ولا تنقيحه ولا التعرض اليه ، مع أنها فى واقع الأمر لا يجوز أن ينظر اليها بهذا المنظار ، والا حلنا دون التطور المطلوب فى التشريعات والتقنينات ، وفوق هذا نكون قد حملنا المجلة أكثر من حقيقتها .

لماذا وضعت المجلة ؟

قبل وضع المجلة كانت المحاكم تحكم بمقتضى الفقه الاسلامي ، على اختلاف كتبه وتعدد مناهجه ، ووعورة الطريق التي توصل الى نتيجة حاسمه ، وكان القضاة ينقطعون للتخصص سنين حتى يستطيعوا الغوص فى الأبحاث الفقهية والظفر بالضالة المنشودة .

ولما بدىء بتأسيس المحاكم النظامية فى الدولة العثمانية ، اصبح يعود اليها اختصاص النظر فى أنواع من الدعاوى كانت قبل ذلك ترجع الى الى المحاكم الشرعية ، ودعت الحاجة الى تيسير مراجعة النصوص الفقهية ، التي كانت هي المستند القضائي للحكام غير الشرعيين ، وذلك بوضع كتاب فى المعاملات الفقهية يكون مضبوطا عاريا من الاختلافات ، حاويا للاقوال المختارة ، سهل المأخذ والمطالعة على كل أحد ، وعلى أعضاء المحاكم النظامية وموظفي الادارة ، ويكون بمثابة قانون مدني لدعاوى الحقوق التي تنظر فى المحاكم النظامية .

فصدرت ارادة سنية بتأليف لجنة من كبار العلماء فى الدولة ، ووضعت مشروع المجلة التي أصبحت قانونا عاما (١) .

وبذلك فتح باب جديد فى التشريع ، وأوجدت المجلة فى الفقه الاسلامي مرجعا قضائيا على الطريقة التشريعية فى صياغة القوانين : من حيث الترتيب والترقيم ، والاقتصار على قول واحد .

وقد كانت المجلة حين صدورها بدء مرحلة جديدة موفقة فى تاريخ الفقه العربي الاسلامي ، هي مرحلة التقنين .

عيب المجلة

غير أنه أخذ على واضعي مشروع المجلة فيما أخذ ، أنهم التزموا مذهبا واحدا هو المذهب الحنفي السائد فى الدولة العثمانية ، ولا ريب أن المذهب الواحد مهما اتسعت اصوله وفروعه ، وتشعبت نظرياته وتخريجاته ، لا يمكن أن يكفى الأمة فى حاجاتها التشريعية المتجددة .

والنصوص الأصلية التي يستند اليها الفقه الاسلامي ، وكذا القواعد المستخرجة منها ، تمتاز غالبا بعموم وشمول ومرونة الى درجة لا يمكن معها القول بانحصار صحة تطبيقها فى صورة واحدة ، أو بأن وجهة نظر واحدة فى فهمها هي الصواب دون ما سواها من آراء اجتهادية محتملة .

ولذلك كانت السعة الكبرى فى قابليات الفقه الاسلامي ، انما تتجلى فى مجموعة مذاهبه الاجتهادية لا فى مذهب واحد(٢) .

---

(١) انظر التقرير الذى وضعته جمعية المجلة وصدرتها به ورفعته معها الى الصدر الاعظم وهو مطبوع فى مقدمة المجلة .

(٢) انظر شرح القانون المدنى للزرقا صفحة ٩ ــ ١٢ .

مما تقدم يتجلى أننا لا نعارض الفكرة الأساسية، وهي ضرورة ايجاد قانون مدني يحقق للناس العدالة المطلوبة ، وتأمين حقوقهم وفقا للتقاليد السائدة فى هذه البلاد وأعرافهم . غير أننا لا نوافق أبدا على اصدار قانون مدني أجنبي المصادر فى جميع مواده وفصوله أو أكثرها .

وليس القصد أن ننظر الى كل مادة بمفردهـا ، فتلاحظ ما اذا كانت موافقـة لاحكام الشريعة الاسلامية أو مخالفة لها ، وانما القصد أن يكون المشروع قائما على أساس النظريات الاسـلامية الفقهية ، دون التقيد بمذهب معين أو مذاهب محددة ، ولا يخفى على كل من له المام بالشئون القضائية من قضاة ومحامين ، أن أى قانون مهما روعى فى نصوصه من الدقة ، فانه عند التطبيق قد يحتاج الى الرجوع لمصادر القانون ومآخذه ، حتى يستعان بهـا على تعيين المـراد وتحديده وتفسير القانون .

ومن العيب الفاضح علينا ونحن أمـة ذات تاريخ مجيد ، وفقه عظيم وثـروة فكرية غنية ، أن نكون عالة على غـيرنا نقتبس من فتـات موائده ، ولدينـا ما يشبعنا ويروينا .

وقد اعترف لنا المنصفون الأجانب ، أن الفقه الاسلامي هو أعظم تراث عربي ، أنشأته وخلفته الحضـارة العربيـة فى عصورها الاسـلامية ، وقد سـهر على تكوينه عباقرة الفقهاء والمجتهدين مـن اسلافنا المتعددين .

ويوجد فى كل مذهب من المزايا فى الأصـول والنظريات الحقوقية ، ما لا يوجد فى الآخر حتى أن الباحث قلما يجد نظرية أجنبية معقولة فى القوانين الحديثة الا وقد سبق اليها بعض هذه المذاهب الفقهية الاسلامية ، أو هي تقبل التخريج على بعض قواعده .

ولا مانع فى طريق الزيادة والتوسـيع مـن أن نستهدى بما وجد عند غيرنا من الأمم الأجنبية ذات الحضارة القانونية الحديثة ، ونستفيد منه فى هندسة بناء تقنيننا العربي الجديد ، على أن يكون هذا تطعيما لنظرياتنا ، وتفريعا على أصولنا الفقهية فى طريق استكمال الحاجة .

فطريق الاقتباس يجب أن لا ينسينا أصولنا ، ولا يدفن فقهنـا ، ولا يتركنا عيالا نجـرى وراء الغير ، ونحن الاغنياء .

وبذلك تبقى مكتبتنا الفقهية العربية التي ملأت خزائن الدنيا ، هي المرجع الأساسي لنا ، ونحن نكمل ذلك الشوط المجيد ، الذى بدأ به جبابرة الفقه من أسلافنا ، وتركوه أمانة عربية ثمينة فى أعناقنا ، ويحق لنا حينئذ أن نفخر بأننا أمـة عربية ذات مقومات أصيلة .

أما أن نعمد الى أعظم تراث فكرى وقومي لدينا ، كهذا التراث الفقهي الاسلامي الجليـل فندفنه بأيدينا ، ونستبدل به قانونا أجنبيا يربطنا بعجلة التشريع الأجنبي وفقهه ، وتجعل تراثنا الفقهي نسيا منسيا ، فهذا ــ كما قال الأستاذ مصطفى الزرقا ــ اعلان افلاس وليس باقتباس ، وهـو أعظم جناية شعوبية تقتل لنا أعظم تراث قومي حي قوي .

والنتيجة السليمة

أنه اذا كان الاتجاه فى مصر وهي السابقة فى وضع القانون المدني ، الى تعديله تعديلا شاملا على أساس الفقه الاسلامي ، وان اللجنة بدأت عملها فى ذلك ، واذا كانت سوريا فى عهود التنفس كان اختيارها واضحا فى أن يعاد النظر فى القانون المدني ، ويعـدل أو يجـرد على أسـاس الفقـه الاسلامي ، فمن الخطر الواضح أن نقبل نحـن قانونا بدأ غيرنا من الأشقاء فى تعديله على الأساس الذى ندعو اليه .

ومن الفخر للأردن بقيادة مليكه الشاب ، أن يبدأ هو بدعوة الأشقاء لاختيار لجنة عربية تضم جميع الدول العربية ، ويمثل فيها أساطين رجال الفقه الاسلامي والقانون لوضع قانون مدني شامل على تلك الأسس ، ويترك لكل دولة عربية أن تضع فيه أحكاما خاصة لبعض المعاملات المتعارفة لديها دون غيرها ، والتي لا تتعارض مع القاعدة التـي يتفق عليها ، وحينئذ نكون قد أسدينا لهذه الأمة العربية خدمة جلى ، ونكون قد عملنا فى اتـزان وتعقل على توحيد التشريع فى الدول العربية ، ووضعنا حجر الأساس فى بناء ما يحقق قـوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) .

والله ولي التوفيق وهو الهادى الى أقـوم سـبيل .

مائدة القارئ

بهذا يفخر المسلمون

تفاخرت الاوس والخزرج فقالت الاوس : ـ
لنا غسيل الملائكة حنظلة الراهب، ومنا عاصم الافلح الذى حمت لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ، ومنا الذى اهتز عرش الرحمن لموته سعد بن معاذ .
وقالت الخزرج : ـ
منا اربعة قرأوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يقرأ غيرهم . زيد بن ثابت، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب سيد القراء ، ومنا الذى أيده الله بروح القدس حسان بن ثابت .

هذا هو الملك

نزل عبد الله بن المبارك عالم خراسان بمدينة الرقة ، ورأت أم ولد الخليفة هارون الرشيد موكب ابن المبارك ، فسألت من هذا ؟
قالوا : ـ عالم اهل خراسان .
فقالت : ـ هذا والله هو الملك ، لا ملك هارون الذى لا يجمع الناس الا بالشرطة والاعوان .

أدب الابناء

رأى ابو هريرة رجلا يسير مع آخر فقال : من هذا الذى معك ؟
قال : أبي .
قال : لا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه ، ولا تستسب له .

حبائل الشيطان

قال ابليس : ـ اذا ظفرت من ابن آدم بثلاثة لم أطالبه بغيرها .

اذا أعجب بنفسه ، واستكثر عمله ، ونسى ذنبه .

نصيحة اياس للتجار

يا معاشر التجار احفظوا عني خصالا ثلاثا تنتفعون بها فى تجارتكم .

لا يشتر الرجل باكثر من ماله ، فان كانت وضيعة أتت على رأس ماله كله .

ولا يشارك الا شريكا واحدا ، فان أكثر فائنين ، فان الشركاء اذا كثروا تواكلوا .

ولا يشتر من رجل بضاعة ليس له غيرها ، فان التوى أمر أو اصابته نكبه لم يعذره .

اشتروا من أهل السعة واليسار ، فانهم يؤخرون ، ويحتملون .

البصرة

جاء فى اللسان . البصرة أرض كانها جبل من جص ، وانما سميت البصرة بصرة بها ، وقال الطبرى ، بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان فقال انطلق أنت ومن معك حتى اذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى ارض العجم فأقيموا ، فاقبلوا حتى اذا كانوا بالمربد (ضاحية من ضواحى البصرة بينه وبينها ثلاثة اميال) وجدوا الكذان (حجارة رخوة ، قالوا ما هذه البصرة) .

منطـق معقــول
ومنطـق معكوس

قال رجل لاياس : ما تقول فى السكر ؟

قال : ـ حـرام

قال : ـ وما حرمه ؟ وانما هو تمر وماء .

قال : ـ فرغت ! ؟

قال : ـ نعـم

قال اياس : ـ أرأيت لو اخذت كفا من ماء ، فضربتك به ، أكان يوجعك ؟

قال : ـ لا

قال : ـ أفرأيت لو أخـذت كفا من تـراب ، فضربتك به ، أكان يوجعك ؟

قال : ـ لا

قال : ـ أرأيت لو أخذت كفا من تبن ، فضربتك به ، اكان يوجعك ؟

قال : ـ لا

قال : ـ فاذا أخذت كفا من تراب ، ثم طرحت عليه التبن وصببت عليه الماء : ثم خلطته وجعلته فى الشمس ، ثم ضربتك به ، أكان يوجعك ؟ .

قال : ـ نعم يقتلني .

قال : ـ فكذلك هذا حين جمعت أخـلاطه ، وخمر حـرم .

فضل الام

تنازع أبو الاسود الدؤلي وامرأتـه فى ابن لهما ، وكل واحد منهما يقول : أنا آخذه .

فقال ابو الاسود : ـ حملته قبل أن تحمليه ، ووضعته قبل ان تضعيه .

فقالت امـرأته : ـ حملته خفـا ، وحملته ثقلا ، ووضعته شهوة ، ووضعته كرها ، وكان حجرى فناءه ، وبطني وعاءه ، وثديي سقاءه .

فدفع ابو الاسود الولد الى امرأته .

رجال ومواهب

عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، واشدهم فى امر الله عمر ، واشدهم حياء عثمان ، وأقضاهم على ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرأهم أبي ابن كعب ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الامة ابن الجراح .

بـين عالم وفيلســوف

افتخر عالم أمام فيلسوف بما قدمـه العالم وما اخترعه من مخترعـات .

فقال الفيلسوف : ـ نعم ، أيها العالم . انكـم استطعتم أن تجولوا فى السماء كالطير ، وان تسبحوا تحت الماء كالسمك ، ولكنكم لم تستطيعوا أن تسيروا على وجه الارض فى أمن وطمانينة كالحيوان .

أم المؤمنـين

كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش مع ما ياتيها من عطاء صناع اليدين تصنع بيدها ، وتخيط ، وتتصدق بكل ذلك فى سبيل اللـه ، ووصفتهـا عائشة رضى الله عنها فقالت :

لم تكن امراة خيرا منها فى الدين ، واتقى لله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصـدق به ، ويقربها الى الله .

علاج نبوى

((عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارا يؤذيني .. فقال اخرج متاعك فضعه على الطريق !! فاخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق .. فكل من مر به قال مالك ؟ قال جارى يؤذيني ، فيقول اللهم العنه ، اللهم اخزه .. قال ـ أى ابو هريرة ـ فقال الرجل ارجع الى منزلك فوالله لا أؤذيك أبدا)) .



قيام الخلافة العثمانية وسقوطها

القسطنطينية

كيف خفقت رايات الإسلام فوقها

للاستاذ محمد صبيح

كانت القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، مطمح انظار الفتح الاسلامي ، في موجة اندفاعاته وانتصاراته الكبرى ، خلال القرنين الاول والثاني الهجريين .

فالى هذه العاصمة الكبيرة ، ارتدهرقل ، بعد ان دحر خالد وابو عبيدة وعمرو بن العاص جيوشه في سوريا وفلسطين ومصر .. ومنها كان هرقل وخلفاؤه ، يدبرون الكيد للمسلمين ويتربصون بهم .. واليها كان يهرع الغاضبون والحاقدون على قيام هذه الدولة الفتية القوية ، مثلما ما صنع جبلة بن الايهم الغساني ، عندما لجأ الى القسطنطينية خوفا من ان يقتص منه عمر بن الخطاب .

محاولات لم تنجح

ويروى ابن الاثير في حوادث سنة٢٦ هجرية ، انه لما افتتحت افريقية ، أمر الخليفة عثمان بن عفان قواده ان يسيروا الى الاندلس وقال في كتابه : « اما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس » .

وهكذا كانت هذه المدينة الشهيرة ، في ذهن منشئى الدولة الاسلامية الكبرى من اليوم الاول .

وكان أول حصار لعاصمة البيزنطيين في عهد رابع الراشدين الامام علي ابن ابى طالب ، اذ قام معاوية بهذا الهجوم في عام ٣٤ هـ ، كما حاصرها ابنه يزيد ،



فاتح القسطنطينيـة — السلطان محمد الثاني

وحاصرها سفيان بن أوس ، وكان اعنف حصار هو الذى تم فى عهد خلافة هشام بن عبد الملك عام ١٢١ هـ .. وحدث حصار سابع فى عهد هارون الرشيد عام ١٨٢ هـ .. وقد صمدت المدينة بعد ذلك لاربع حصارات عربية اخرى . وظلت ستة قرون ونصف قرن تستعصى على كل هذه المحاولات ، يساعدها على المقاومة ، موقعها الحصين ، والنار الاغريقية التي كانت تقذفها على سفن الاساطيل المهاجمة فتدمرها دون ان يفلح الماء فى اطفائها . وذلك لانها كانت مركبة من مزيج كمياوى من النفط والقار والكبريت ، وقد استغلق سره على العرب وقتها ..

ومما لا شك فيه ان الوصول برا الى القسطنطينية ، اقتضى المسلمين جهودا جبارة لمحاولة الاستيلاء على جميع الشواطىء الشمالية للبحر المتوسط ، بما فى ذلك فرنسا وايطاليا ، بل استولوا أيضا على قمم الألب ، وبعض سهول سويسرا ، وذلك الى جانب جميع جزر البحر المتوسط بما فيها صقلية : ولولا انقسام حكام المسلمين الى عباسيين يحكمون مشرق الارض ، وامويين ثم فاطميين يحكمون مغرب الارض ، ومحاربة فريق منهم للفريق الاخر ، لاصبح البحر المتوسط كله بحيرة عربية ، وكذلك دوله وموانيه بما فى ذلك القسطنطينية .

هذا الانقسام هو الذى ترك عبء الاستيلاء على عاصمة البيزنطيين ، ليكون من نصيب الدولة العثمانية بعد ان اشتد ساعدها ، وتوغلت جيوشها فى أرض البلقان كله ..

القسطنطينية

● ● ● ●

القرن الخامس عشر

نحن الان فى القرن الخامس عشر الميلادى ، نطل من نافذة التاريخ على هذه المدينة الكبيرة ونحس ان هما ثقيلا بدأ يثقل كاهلها ، وتنوء به .. فان قوة الاتراك العثمانيين تزداد ، وتهديدهم يشتد وملكهم يتسع ، ولم يجد امبراطور بيزنطة ، الا ان يسعى لعقد حلف ديني مع بابا روما ، ومن يتبعه من ملوك اوروبا وأمرائها . عسى أن يعينه ذلك فى دفع الاخطار التي يشم هو ورعيته رائحتها كلما اشرق صباح ، وأمسى مساء .

وحزم الملك يوحنا أمره ، وأخذ معه وفدا ضخما من رجال الكنيسة الشرقية بلغت عدته ثلثمائة شخص ، وركب البحر الى البندقية ، ومنها قصد الى مدينة فارارا ، حيث تواعد معالبابا على اللقاء.

كان هدف هذا اللقاء أن يسوى ما بين الكنيستين الشرقية والغربية من خلاف ، وبهذا تتاح الأمداد العسكرية من كل أوروبا ، لكى تعين القسطنطينية على مواجهة الغزو التركي الذى تنتظره بين حين وآخر .

وكان الملك يوحنا ، قدر أربعة أشهر لرحلته ، ومحادثاته الدينية ، وعودته بالمال والسلاح والسفن .. ولكن هذه الرحلة طالت كثيرا ، اذ تجاوزت خمسة عشر شهرا ، بدأ الجدال فيها واستحر عند ترتيب جلوس البطاركة والمطارنة حول كرسي البابا . ثم بدأ جدال ديني كبير على بعض المسائل العقائدية فى الدين المسيحي ، مثل نار المطهر الذى تذهب اليه نفوس الخاطئين ، وهل تؤدى عملها فى التطهير اذا لم يكن المذنب قد اعترف قبل موته ؟ وعن طبيعة المسيح ، وعن الفرق بين الفطير والخمير ، وغير ذلك من المناقشات ! ! ! .

وقلق الملك من طول المناقشات ، واضطر الى ان يستعمل كلنفوذه لارضاء المتحدثين باسم البابا ، لم يخالفه فى ذلك الا أربعة من رجال كنيسته ، وعاد بهدايا ومال وفير ، وعاد أيضا بوعد مكتوب بان تهرع اليه الجنود والسفن وكل ما يطلبه اذا ما داهمه العثمانيون .

وسمع البابا أن المعارضين الاربعة ، سبقوا الملك الى القسطنطينية ، وأنهم البوا الناس على هذا الاتفاق . فما كان منه الا أن ركب السفينة ، وذهب ليتأكد من ولاء الكنيسة الشرقية له ، فاذا ما سمعه كان حقا كل الحق ، حتى انشعب المدينة رفض ان ينزل البابا الى البر من سفينته ، وكذلك صنعوا فى الكنائس الشرقية ، فما كان منه الا منع كل معونة عن المدينة الخارجة على سلطانهالروحى.

وكأن رحلة الملك ، زادت انقسام الناس ، وشغلتهم فى مناقشات دينية .. فلما مات وخلفه ابنه قسطنطين تلقى تركة مثقلة ، ومشاكل معقدة أشد التعقيد (١) .

سابع السلاطين

وفى الجانب التركي نجد سلطانها محمد الثاني — وهو سابع سلاطين بنى عثمان ، يتولى الملك ، وأول برنامجه الاستيلاء على القسطنطينية ..

وحتى لا يشغله شاغل سبق ان عكر صفو الحياة على اسلافه ، عمد الى أخ رضيع له اسمه ، أحمد فذبحه .. حتى

---

(١) فى ذلك كله أعظم عبرة للذين يختلفون منا ولا سيماعلى الامور الصغيرة وتتفرق كلمتهم وعدوهم جاثم على صدرهم وما اكثر العبر ولكن . ! « الوعى »

لا يكبر وينافسه فى الملك .. وكذلك كانوا يصنعون !! .

وبدأ الاستعداد للمهمة العظيمة .. بانشاء حصون على بوغاز البسفور تمنع المدد البرى من جهة اوروبا ، وبدأ حشد مدفعية هائلة وجنود سبق ان مرستهم الحروب فى البلقان ..

وكان ذلك كله قد تم فى أوائل ابريل سنة ١٤٥٣ م .

وأراد قسطنطين الملك الذى خلف يوحنا ان يفادى نفسه وملكه بالمال ؛ فبعث برسول الى محمد الثاني يعرض عليه دفع الجزية التي يقررها .. ولكن هذا الطلب رفض .

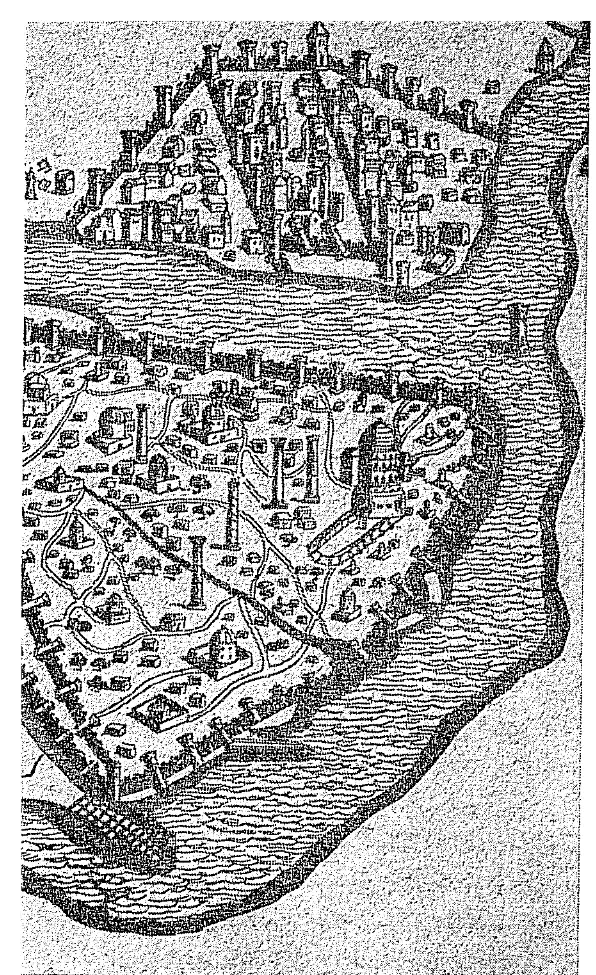
وبدأ الحصار ، واحاط ٢٥٠ الف محارب ، بالمدينة من ناحية البر ، آزرتها ١٤ بطارية من مدفعية ضخمة ومعها مدفع هائل ، قام بصنعه للاتراك صانع مجرى ، كان المدفع يقذف كرات من الحجر زنة الكرة ١٢ قنطارا ، تنطلق الى مسافة ميل .

وكان فى حوزة الاتراك اسطول أعد لمهمة الحصار البحرى من ١٨٠ سفينة طوقت مداخل الميناء من بعيد .

وعلى الرغم من ان أمل النجدة كان ضعيفا ، الا ان نداءات قسطنطين آتت نتائجها ، اذ هبت لمعونته مدينة جنوا ، وارسلت له عمارة بحرية مدربة تدريبا عاليا . وقد وصلت بعد ثلاثة اسابيع من فرض الحصار ، واشتبكت مع الاسطول العثماني فى معركة رهيبة ، وتغلبت عليه ودخلت الميناء ، واغلقته وراءها بسلاسل حديدية لا سبيل الى اقتحامها .

حيلة خارقة

ولن تكون للحصار ، ولا لضرب المدفعية



صورة تخطيطية لمدينة القسطنطينية . وترى كنيسة أيا صوفيا ذات القبة العالية وترى المدينة بقسميها محاطة بالأسوار العالية وذلك قبل استيلاء الأتراك العثمانيين عليها .

فائدة ما دام طريق البحر مفتوحا يأتي بالمدد والتموين ، وسفن الاتراك ممنوعة من الاقتراب بهذه السلاسل . وخطر للسلطان ومشيريه مشروع ، يكاد يكون خياليا وهو أن تتسلل سفنهم الى الشاطىء المأمون بعيدا عن منطقة القتال ، ثم يرفعها الرجال الى البر ، ويدفعونها فوق الواح هائلة من الخشب طليت بالزيت والدهون ، وذلك لمسافة ستة

أميال ، ثم ينزلونها مرة اخرى الى البحر ، ولكن فى داخل منطقة السلاسل المانعة ..

وفى ليلة واحدة ، تم نقل نحو من سبعين سفينة بهذا الاسلوب ، وفى هدوء وحذر بالغين .. وان الانسان لتعروه الدهشة لهذا المجهود البشرى الذى بذله الاتراك لتنفيذ مشروعهم ، مما يدل على براعة قيادتهم وضبط اعصابهم ، ودقة تصرفهم .

وكانت هذه العملية ، ضربة اليمة للمدافعين عن القسطنطينية .

وفى ٢٤ مايو سنة ١٤٥٣ ارسل السلطان محمد الثاني ، رسولا الى قسطنطين يطلب منه تسليم المدينة طوعا ، ويتعهد بان يترك للاهالي حريتهم وأملاكهم ، وان يبقيه على عرشه ، ويضم اليه جزيرة المورة .. ولكن الامر كبر على قسطنطين فرفض هذا العرض السخي ، وآثر الاستمرار فى المقاومة .

وفى اليوم الاول من عام ٨٥٧ هـ (٢٩ مايو سنة ١٤٥٣) اشعل الاتراك النار امام خيامهم حتى تحول الليل الى نهار ، وقد حاكى السلطان العثماني فى هذه الحركة ، ما قام به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فى الليلة السابقة لاستيلائه على مكة .

وانفق الهاجمون ليلهم متيقظين يكبرون بأصوات عالية .. فكان يسمع لصوت تكبيرهم دوى هائل يغطى على كل امواج البحر ، ويبعث الرهبة والهلع فى قلوب كل حي ، وكل شيء فى المدينة التي تقرر مصيرها فى أطول ليلة عاشتها .

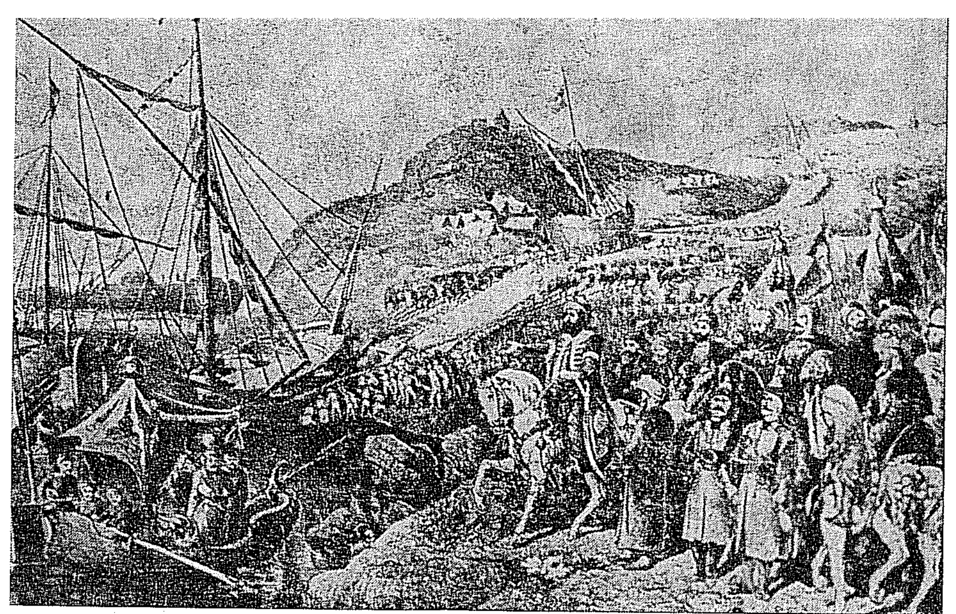
الهجوم

تسلق ١٥٠ ألفا من الجنود اسوار القسطنطينية ودخلوها من كل ركن وكل فج ، واخترقت سيوفهم المشرعة كل شيء عارضهم ، وكل حي وقف فى طريقهم، وكانت وجهتهم الكنيسة الشهيرة التي طالما سمعوا عنها ، كنيسة « ايا صوفيا » .

وكان البطريرك يصلى ومن حوله آلاف ، ولكن قطع صلاته تحطيم الابواب واندفاع الجنود داخل الكنيسة يضربون .. ويضربون ، كأنهم السيل المنهمر من أعالي الجبال . واستبيحت المدينة ساعات قليلة . وفى الظهر دخل السلطان، وأمر بايقاف كل العمليات العسكرية ، وعمليات السلب بعد أن كفت المقاومة تماما .

وبحث أعوان السلطان عن الملك قسطنطين ، فاذا هو قتيل تحت سنابك الخيل ، ولما تأكد من موته ، ذهب الى الكنيسة ، وأمر بانزال اجراسها ، وتسلق قبابها المؤذنون ، ونادوا : « الله اكبر ، الله اكبر .. » ولما تم الاذان ، نودى ان الصلاة جامعة، وخطب السلطان، وأمر بأن تتحول نصف كنائس المدينة الى مساجد ، ومنها « أيا صوفيا » وان يترك النصف الآخر للمسيحيين يقيمون فيه شعائر دينهم ..

ونادى المنادى فى الناس يطمئنهم الى انفسهم وأموالهم وحرية عقيدتهم ،



منظر طريف نادر للسلطان محمد الثاني وهو يشرف على رفع سفن الاسطول التركي من البحر وجرها على البر فوق الواح من الخشب ثم اعادة انزالها فوق الماء وراء السلاسل التى اغلقت الميناء فى وجه اسطول الغزو .

فهبط الالوف من الجبال القريبة ، وكانوا قد لاذوا بها متسللين ناجين بانفسهم ..

وأمر السلطان ، بأن تنتخب الكنيسة بطريركا جديدا ، فاختاروا جورج سكولاريوس، فنصبه محمد الثاني رئيسا للاروام الارثوذكس ، وأقيم لتنصيبه حفل كبير سار فيه رجال الدين فى موكب فخم ، تحف به جنود الانكشارية فى ازيائهم البراقة . وتألف مجلس ديني برياسة البطريرك الجديد ، واعطى له السلطان حق الفصل فى قضايا اتباع هذه الكنيسة الشرقية ، سواء كانت مدنية او جنائية .. وقرر السلطان جزية دفاع (خراج) على جميع المسيحيين ، واستثنى منها رجال الدين .

اكتشاف قبر أبي أيوب

وحدث عندما كان السلطان يحاصر المدينة ، ويقيم مواقعه حولها ، أن كشف رجاله عن قبر قرىء ما عليه من كتابة ، فاذا هو قبر الصحابي ابى ايوب الانصارى الذى استشهد فى الحصار العربى الثالث للمدينة ، عام ٥٢ هـ .. فأمر محمد الثاني بعد الفتح ، بأن يقام حول قبر هذا الصحابي الجليل مسجد عظيم يحمل اسمه .

وفى مسجد ابى ايوب ، جرت عادة سلاطين آل عثمان منذ ذلك التاريخ أن يتقلدوا سيف الحكم — وهو سيف عثمان الغازى الاول .

موطن الاسلام

لقد نقل محمد الثاني عاصمة ملكه من أدرنة الى القسطنطينية ، وغير اسمها الى « اسلام بول » اى موطن الاسلام ، وهي التي كتبت بالحروف اللاتينية ، استنبول ، ونقلت الينا هكذا ، مع ان اسمها ، وهو يدل على كلمة اسلام ،



السلطان محمد الثاني يشرف على الهجوم البحرى على القسطنطينيـة .

ويزاوج بين العربية والتركية ، كان اقوى واكثر وضوحا ..

وهكذا انضمت الى العالم الاسلامي هذه المدينة الشهيرة . وحاول بعض المؤرخين الغربيين أن يهونوا من شأنها وشأن قوات الدفاع فى داخلها .

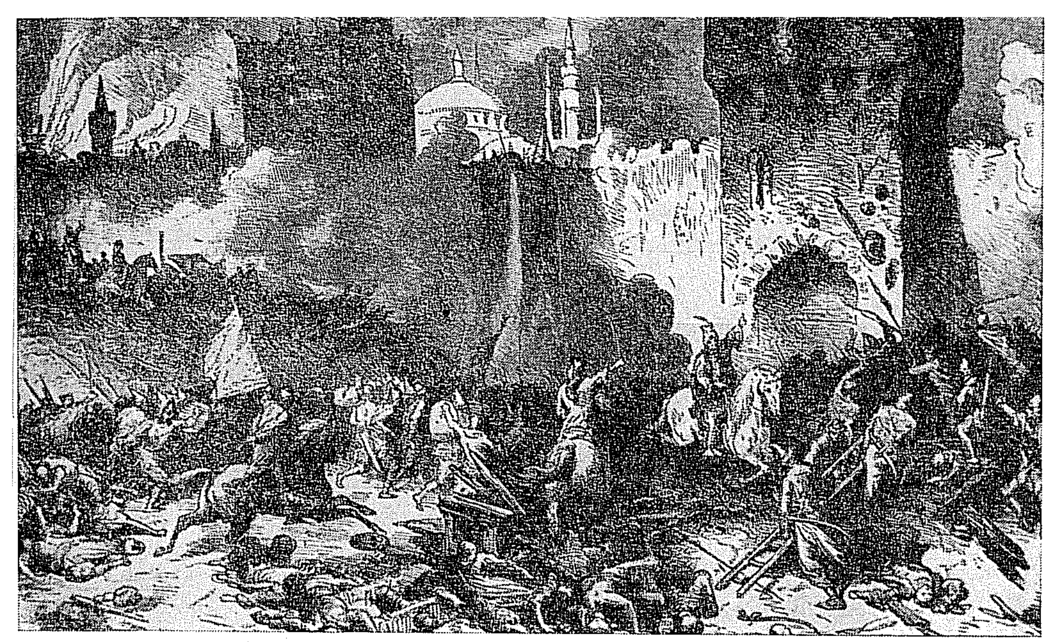
وكان مما زعمه ، « جيبون » فى تاريخه ان آثار الادب والفلسفة اليونانية ، وهي فى نحو ١٢٠الف مخطوط دمرت فى هذا الفتح .. وهو قول غير صحيح بالمرة ، فان معظم هذه النفائس نقلت قبل ذلك الى روما ، وما تزال موجودة فى مكتبة الفاتيكان الى الان . ولقد رويت مثل هذه الاكاذيب عن مكتبة الاسكندرية ، وأن العرب دمروها فى فتحهم لها ، وثبت كذلك كذب هذا الادعاء .

صحيح أن الترك لم يحفلوا بالمكتبة البيزنطية،وحصل كثير من امراء الجيش على تذكارات منها اهدوها او باعوها بعد ذلك لمن يعرف اللغات اليونانية واللاتينية القديمة .

ويبدو ان الجدال الديني فى عاصمة البيزنطيين كان غالبا عليهم حتى بعد ارتفاع رايات الاسلام فوق رؤوسهم .. يروى الامير حيدر فى تاريخه ، انمناقشة طويلة دارت بين البطريرك والسلطان محمد الثاني ، وقد اعجب السلطان بما ابداه كبير الاساقفة : « فلما نظر السلطان الى ما كتبه البطريرك اعجبه كثيرا ، وأمر ان تحفظ هذه الكتابة باللغة العربية والرومية والتركية والاناضولية فى خزينة المملكة (١) » .

وقد اهتز العالم المسيحي بعنف لسقوط عاصمته الشرقية ، حتى ان البابا فى روما ، دعا الى حرب صليبية

(١) تاريخ الامير حيدر الشهابى ص ٥٤٢ .



اقتحام أسوار القسطنطينية ب (١٥٠) الف مقاتل عثماني .

جديدة ، ولكن كما يقــول « هـ . ج . ويلز » فى مختصر التاريخ ، ان الحروب الصليبية كان قد انتهى اوانها (١) .

لماذا لم تسمع صيحة البابا فى القرن الخامس عشر ، كما سمعت فى القــرن العاشر ، ودفعت مليونا من الاوربيين كي يتحركوا تحت رايات الصليب، ويندفعوا الى الشام وفلســطين ومصر فى غارات متوالية استمرت قرنــين كاملــين مــن الزمان ؟ ! ! .

لماذا تغير الزمان كما يقول ويلز ؟ .

ان روما وحدهـــا ، كانت مشــغولة بأمور الدين خلال القرن الخامس عشر .. أما أوروبا فكانت فى شغل آخر ..

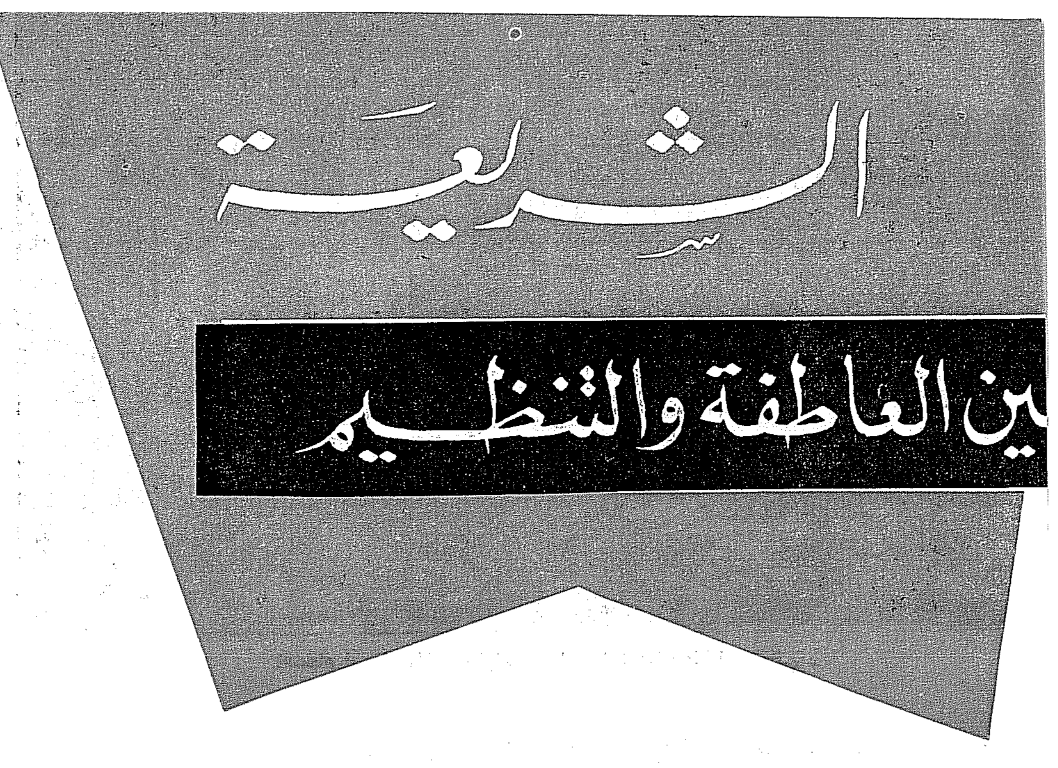
كانت فرنسا تحــرق جــان دارك ، والمانيا تخترع الطباعة ، والبرتغال تدور حول رأس الرجاء الصالح ، واســبانيا تنزل اكبر الهزائم بالعرب وتطردهم من الاندلس ، ثم تدفــع ســفائنها بقيادة كرستوف كولمبس فيكتشف امريكا ..

واذا كانت أوروبــا ومؤرخوهــا قد أسفوا على كتب الفلسفة والادب الاغريقي عند قيام الحكم الاسلامي فى « اســلام بول » ، فان الذى اغلق مدارس الفلسفة اليونانيــة فى أثينا ، بعد ان اســتمرت ألف سنة لم يكن فاتحا اسلاميا ، ولكن كان جستنيان الاول (٥٢٧ ــ ٥٦٥) .. وهو بالذات الامبراطور الذى شــــيد كنيسة سنت صوفيا ، لكي يتعبد فيها الناس ، بدلا من ان يتفلسفوا .

ويمكــن ان نقــول ان ســـــقوط القسطنطينية فى يد المسلمين كان تمهيدا طبيعيا لقيــام الخلافــة الاســلامية فى عاصمتهم الجديــدة ، كما ســنرى فى البحث القادم ان شاء الله .

---

(١) ولكن ظل دوى هذا النداء يملأ قلوب الغربيين ،حتى وجدنا قائد الجيش الانجليزى حين فتح القدس فى الحرب العالمية الاولى يقــول : الآن انتهت الحروب الصليبية . الوعى



للأستاذ أحمد مهدى الخضر
المحامى – ووزير الاوقاف السورى سابقا

أهم ما يدور عليه الموضوع

* **الشريعة بين الماضي المتخلف ، والحاضر المبهوت ، والمستقبل المجهول .**
* **الشريعة ذلك الكنز الضائع المخبوء .**
* **الشريعة بين انصاف العدو الذى أقر لها صفتها العالمية .. وبين عقوق الصديق الذى يتنكر حتى لقدرتها المحلية .**
* **العالم المتحضر يقفز على عدد الثواني فى مجالات الحضارة والعلم .. أما نحن فمكاننا لم نكد نبرحه منذ عشرة قرون .. وننظر الى موقعنا من الصف الطويل .. فلا نكاد نرى بعدنا أحدا ! .**
* قيمة الشريعة فى أنها نظام ((مجتمع)) أكثر منها عاطفة على منبر .
* **دور أوروبا البارز فى عملية التنظيم للمعارف والعلوم فى الموسوعات والفهارس منذ أوائل القرن التاسع عشر (فرنسا – روسيا) .**
* **ودور العالم العربي فى موسوعته الحقوقية الوحيدة واليتيمة ((منذ أوائل النصف الثاني من القرن العشرين)) ((مصر ، كويت ، سوريا)) .**
* **حماية المشاريع العلمية من التيارات السياسية فهي من أسباب النكسات فى الماضي ، وليتم العمل بتضامن مخلص على نطاق علمي موضوعي بحت ..**

ان فكرة التنظيم،فى الحياة الاسلامية، شيء أساسي لا غنى عنه للمسلمين حتى فى شؤونهم التعبدية فالله لا ينظر الى الصف المعوج للمصلين .

ومن أفطر يوما فى رمضان .. فترك الصيام مع الجماعة ، وصام وحده .. لا يجزئه صوم الدهر كله ولو صامه ! . ودعوة الشعوب الى مؤتمر دولي ،

أول ما ظهرت في حياة المسلمين في مؤتمر (الحج) وهم من كل حدب ينسلون .

ووضع حد للحياة الروحية ، أن لا تطغى على الجوانب المادية في الانسان ولا العكس تحت طائلة المروق من الاسلام في ظل حديث الثلاثة المتزمتين من يصلي ولا يرقد .. ويصوم ولا يفطر .. ومن يترهب فلا يتزوج ، الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم « فمن رغب عن سنتي فليس مني » كذلك هذه ظاهرة بارزة من ظواهر التنظيم الاجتماعي العظيم .

وقد بقيت معالم التنظيم بادية في عهود المجتمعات العربية التي قادتها روح الاسلام ، حتى تركت آثارها في مختلف جوانب الحياة .. ومن أبرز هذه المعالم التنظيم العلمي والحقوقي الذى ظهر في العصر العباسي ، فقد كان العلم يتلقى من أفواه العلماء ، ومن بعض الرقاع المنتشرة ذات اليمين وذات الشمال . حتى كان نصرا عظيما للعلوم وللمعارف ، ان تجمع في كتب ، وأن تعرض منظمة في أبواب وفصول وأحكام بالنسبة لذلك العصر .

وكان الفقه الاسلامي كفرع من هذه العلوم قد ادركه هذا التنظيم منذ نحو ألف عام .

ولكن المؤسف أن هذا الاسلوب في الكتابة والتأليف بقي على جموده منذ ذلك الحين حتى أصبح الانسان يشك اذابقي فيه أثر من الحركة والقدرة على مدالحياة بما تحتاجه من زاد وغذاء جديد .

وفعلا فقد سبقتنا أوربا ــ فيما سبقتنا ــ الى استحداث اسلوب جديد لعرض العلوم والمعارف الانسانية يسهل على الانسان الوصول الى ضالته، ويوفر عليه الزمن الطويل الذى يستغرقه البحث في ظل الاسلوب القديم ، ذلك هو أسلوب الموسوعات وهو يقتضي ترتيب المعارف والعلوم على طراز القواميس اللغوية .

تبتغي المادة من الرجوع الى كلمتها العلمية وحسب تسلسل حروفها الابجدية .

وعلى هذا يكون بقدرة أى مراجع أو باحث أن يصل الى ماينشده ، بمثل لمح البصر .

الا أن أوربا سبقتنا الى استحداث اسلوب الموسوعات منذ نحو قرنين ،وقد أخذ هذا الاسلوب ينتشر في مختلف فروع العلوم، فأصبحنا نجد الموسوعات في الطب العام ، بل نجد الموسوعات في بعض فروع اختصاصات الطب كالموسوعة الفرنسية في الطب الجراحي وكذلك انتشرت الموسوعات في العلوم الهندسية وفروعها ، وفي علوم الحقوق وفروعها أيضا .

وكانت فرنسا من أشهر البلدان الأوربية التى سارعت الى انجاز عدد كبير من الموسوعات العلمية والحقوقية في مختلف الميادين ، وقد بذلت في سبيل ذلك من الطاقات العلمية والمادية والفنية والبشرية بتشجيع كبير من الدولة ، مما جعلها في طليعة البلدان الأوروبية التى اشتهرت بهذا الاسلوب العلمي الحديث في عرض المعارف والعلوم .

وكان من أشهر الموسوعات التى تعتزبها ، ويعتز بها العالم معها ، موسوعات « سيرى » و « دالوز » التى ظهرت في مجموعات حقوقية وقانونية مختلفها كان من أبرزها :

أ ــ الاجتهاد العام

وقد بدأ عرضه على هذا الطراز منذ عام ١٨٤٥ ميلادية وقد طبع بمعدل مجلد لكل عام .

ثم أصبح يلخص في مجموعات أيضا فمنذ ١٨٤٥ حتى ١٨٩٧ لخصت كل « ١٠ » سنوات بمجلد واحد .. ثم بدأ التلخيص بعد هذا بمعدل مجلد لكل أربع سنوات « من الاجتهاد العام الآنف الذكر » .

وفي هذه المجموعة الحقوقية والقضائية ما سد حاجة كبرى لرجال الحقوق والقانون في فرنسا ، وأوربا وفي عدد كبير من بلدان العالم أيضا . وأصبحت

ذائعة الصيت لا يكاد حقوقي في العالم أينماكان أو مؤسسة حقوقيةتجهل قيمة هذه المجموعة الحقوقية ، والموسوعة التاريخية والحاجة اليها والى مثيلاتها والى الجرى على غرارها .

ب ـ الفهرس العلمي :

وهو مؤلف من (١٢) مجلدا ومن تكملة مكونة من (٣) أجزاء ومن ملحق عام ١٩٣٨ من مجلد واحد . ولا يكاد يستغنى عنه رجل حقوق أو قضاء أو قانون .

واذا كانت فرنسا من أبرز البلدان التى هرعت الى هذا الميدان ، وأبدعت فيه وأصبحت يشار اليها بالبنان فى مختلف بلادالعالم لهذاالانجاز الموسوعي والحقوقي والعلمي العظيم ، فان بقية بلدان العالم المتحضرة مضت أشواطا بعيدة أيضا فى هذا الميدان سواء فى الشرق أو فى الغرب ونحن الوحيدون المتخلفون .. أو فى طليعة المتخلفين !

وبهذه المناسبة : أذكر حادثة قرأتها يوما ما أن بعض المستشرقين الروس نزل فى القاهرة منذ بضعة عشر عاما .. وسأل عن موضوع معين لكاتب ذكر اسمه .. فقيل له : من الصعب العثور عليه .. فقال لهم : نحن فى بلادنا .. نفهرس يوميا .. وباطراد .. كل ما ينتجه عقل الانسان ، ويولده جهده من علوم وفنون وآداب وحقوق وسياسة . ولا يخلو من ذلك شيء مما ينتشر أو يذاع أو يكتب أو يسجل !

ويفهرس هذا كله ـ بما فيه الجانب الحقوقي طبعا ـ على ترتيب المواضيع ، وعلى ترتيب الكتاب والمؤلفين ..

فاذا طلبت أى موضوع لأى مؤلف أو حقوقي أو كاتب .. وجدته بمثل لمح البصر بين يديك ! أما نحن فقد يعشى البصر .. وقد يذهب البصر ولا نرى الحكم الذى نبحث عنه ويبقى فى نهاية المطاف .. ضالتنا المنشودة البعيدة المنال !

لاشك أنها « وصمة عار » فى جبين العالم العربي والاسلامي ـ أن تخلو مكتباته جميعا دون استثناء وهو يعد كذا من الملايين .. عدد الحصى والرمل والتراب .. من موسوعة واحدة « للفقه الاسلامي المذهبي أو المقارن » حتى الآن ! بينما هي المرجع العلمي الوحيد الذى يسهل على رجال التشريع والقضاء والحقوق ، أن يستمدوا منه ويقارنوا به .. ويفيدوا من كنوزه المخبوءة تحت الانقاض والركام ...

ان مجالس الامة والهيئات التشريعية حتىفى بلادنا الاسلامية والعربية تفضل الاستمداد من الموسوعات الحقوقية الأجنبية لسهولة الاخذ منها ، وحسن عرضها وتوفير الزمن الطويل الذى كثيرا ما يضيع على من يبحث عن حكم او قاعدة فى كتب الفقه القديمة .. ثم لا تستبعد أن لا يعثر على ضالته بعد أن يأخذ راسه الصداع أو الدوار !

من المبادىء المقررة : **أنه فرض كفاية أن تقدم الدول والهيئات والافرادفىالعالم الاسلامى والعربي ضمن ما تستطيع كل ما تحتاجه الامة ماديا وحقوقيا وروحيا وسياسيا ، وعلى ذلك فان العالمين العربيوالاسلامي آثمان امام الله والتاريخ فى نظر الاسلام ، حتى يتضامنا أو يهيئا من يخرج هذا المشروع الحقوقي والعلمي الذى يبلغ مرتبة الضرورة لا مجرد الحاجات الى حيز النور .**

ولعل العالم الاسلامي والعربي يتخلص بهذا من اثم من الآثام التي تأخذ به من تلابيبه فى أكثر الميادين التي تخلف فيها تخلفه الذريع .

صحيح أننا صحونا قليلا منذ أوائل النصف الثاني من هذا القرن الميلادي الا أن صحونا لا يزال صحوا مشوبا بالكثير من الفتور والخمول .

فى عام ١٩٥١ نادت حلقة الدراسات الاسلامية فى باريس ، بانشاء موسوعة للفقه الاسلامي ، وقد أقرت الصفة العالمية للشريعة الاسلامية كمصدر أساسي للتشريع العالمي كالشريعة الرومانية وغيرها ، فى أهم المؤتمرات الدولية فى لاهاى وباريس ..

وفي عام ١٩٥٦ صدر مرسوم برقم (١٧١١) وبتاريخ ١٩٥٦/٥/٣١ يقضي بانشاء لجنة لموسوعة الفقه الاسلامي تابعة للجامعة السورية بدمشق ، ورصدت ميزانية للموسوعة في مراحلها الاولى الا أنها ما لبثت أن تقلصت .. ثم انعدمت ..

وفي عام ١٩٦١ وخلال الوحدة بين سوريا ومصر تمركز مشروع الموسوعة في القاهرة وبدأ الاعداد له ، وصدر قرار وزارى عن وزارة الاوقاف برقم (٢٤) بتاريخ ١٩٦١/١/١٨ بتشكيل لجنة جديدة للموسوعة .. وما أن انتكست الوحدة .. حتى فتر المشروع في القاهرة أيضاً (١) .. واتضح أن خطة العمل في الموسوعة في المرحلتين لم تكن خطة عملية وشابها كثير من الارتجال في التقدير والاختيار والتخطيط .

وفي عام ١٩٦٥ أقر مجلس الامة الكويتي رغبته باقتراح تقدم به بعض النواب مشكورين لتبني مشروع الموسوعة .

وفي عام ١٩٦٦ رصدت الحكومة الكويتية الميزانية اللازمة للسنة التحضيرية لهذا المشروع الكبير .

وعلى كل فان المشروع لا يزال وليدا وبرعما غضا .. وبحاجة لكثير من التغذية والعناية والحماية والنور .

وهو أكبر من أن يكون مشروعاً تستطيع دولة واحدة القيام وحدها به ، سواء في الشرق أو الغرب .. ولا بد من تعاون الدول العربية جميعها أو جلها ، ولا بد من اقامة عدة مراكز فرعية في هذه الدول .. كل منها يتولى نوعا من العمل يوكل اليه .

انه يقتضي انشاء لجان عديدة يختار لكل منها عدد من المستشارين المخضرمين بالدراستين الشرعية والقانونية معا ، ومن أعلى المستويات العلمية والحقوقية

ينبغي تجنيب هذا المشروع التيارات السياسية المحلية أيا كان نوع هذه التيارات ، ليكتب له السلامة من العواصف وأسباب النكسة والفشل .

وهذه الموسوعة اذا قدر لها أن تبدأ فعلا هذا العام ، فلا بد لها من خطة ذات مراحل على فترة لا تقل عن عشر سنوات

وستسد حاجة المسلمين والعرب الى مرجع يستمدون منه تشريعهم واجتهادهم .. ويتخذون منه جسرا يربطون به بين الماضي والحاضر ، وبين النظر المجرد والسلوك .. وتنتهي بهذه الموسوعة المأساة الحقوقية الاسلامية من انقطاع الفكر الفقهي عن الحركة والتفاعل والنمو ، والاعداد للحياة المعاصرة .

ان مجالس الامة والهيئات التشريعية في العالمين الاسلامي والعربي تستمد قوانينها اليوم من القوانين الاوروبية والشريعة الرومانية ..

وذلك لان أعضاء هذه المجالس والهيئات لا يستطيعون في أغلب الأحوال العثور على ضالتهم من البحوث الحقوقية في المراجع الفقهية المعقدة المملة . واذا استطاع البعض فان ذلك سيكلفهم أضعاف الزمن الذى يكفيهم لوجود الحكم المثيل في المراجع الحقوقية الأجنبية .

ان الحياة المعاصرة تتطور من سنة لأخرى ، بل من يوم لآخر تطورات جذرية ومذهلة نحو الأفضل .

فبماذا نصف تخلف التراث الفقهي عن الأسلوب المعاصر .. ليبقى راكدا على أسلوبه القديم الذى جمد عليه منذ الف عام !

ان في الشريعة الاسلامية طاقة هائلة دافعة للتطور نحو الأصلح ، ولكن هذه الطاقة كالثروات الدفينة في أعماق الارض .. عندما تنقطع عنها يد الانسان

نسأل الله أن يكتب التوفيق للمسئولين العرب والمسلمين ليتعاونوا في سبيل الحماية لشريعتهم والاستفادة من تراثها الحقوقي العظيم ، والا فويل للاسلام من عقوق العرب والمسلمين .

---

(١) ثم استؤنف العمل فيه بعد ذلك واصدر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية التابع لوزارة الاوقاف أول جزء من الموسوعة كمقدمة ونموذج . والعمل الان موزع على كبار العلماء ، ومع ذلك فان ضخامة المشروع تستلزم توحيد الجهود العلمية والمالية لاخراجه الى حيز الوجود « الوعى »

في ذكرى مولد الرسول الأعظم

أيشرق عن عدنان غيرك كوكب ... وأنت أجل الخلق ذكراً ، وأطيب

سموات ظل الله قد لاح قدسها ... بمكة يدنيها شعاع مثقب

تهادت بأرض رف للشرك بينها ... جناح ، ونور الحق أسنى ، وأرحب

جرى القدر الأسمى بأن محمداً ... سيبعث بالدين الحنيف ، ويطلب

ولم ينس عيسى أن يبشر قومه ... بأحمد ، والمقدار يملى ، ويكتب

وهل بعد انجيل المسيح مؤذن ... وهل غيره غاد على الناس يخطب ؟

ويوم وضيء قد تألق بشره ... يرف نسيم منه عذب مطيب

تنسم من في الكون رياه ، وانتشى ... بنجواه حاد في الفلا راح يطرب

فآمنة الحسنى تروح ، وتغتدي ... وقد حزب الأمر الذى تترقب

تقول لأتراب لها ، ان لى هوى ... لهذا الذى بين الحشا يتقلب

ولا غرو أن يأتي زكياً ، وطيباً ... فما أصله الا زكى ، وطيب

سرى البشر في البطحاء ليلاً ، فصفقت ... جوانح في أعشاشهن تطرب

وقد خشع الأملاك ، واصطف منهم ... يحيي رسول الله حشد ، وموكب

فلما أضاء النور ما بين يثرب ... ومكة ، واهتزت من البشر يثرب

وزلزل بالايوان كسرى ، ونكست ... إلى الهون أصنام تشد ، وتجذب

أطل على الدنيا ، فأزهر بينها ... جديب ، ووافي بالمجادة صيب

وأورق عود الخير بعد جفافه ... وقد كاد ينبوع الأماني ينضب

غدا بالندى ، والفضل ، يمنحه الورى ... فأجزل بفضل من يد الله يوهب

ولم تر أم المصطفى عند وضعه ... عناء ، ولا عبئاً له تتهيب

وما كان اعسار هناك ، وشدة ... ولا ما يروع الحاملات ، ويتعب

لقد حف بالأم الرءوم عرائس ... من الخلد ، تأسو روعها ، وتطيب

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

للاستاذ محمد هارون الحلو

المستشار الثقافى برئاسة هيئة الفتوة ـ القاهرة

فآسيةُ الغراء ترعى شؤونَها ... ومريمْ بالهادى الزكى ترحبُ

تقول له : مرحى ، حللتَ مباركاً ... فوجهك وضاحٌ ، وثغرك أعذبُ

سعتْ أمه في سوق مكة علها ... تفوز بمن ترعى الهدى ، وتربُبُ

حليمةُ ، ياطوبَى لها ما أصابَها ... من الفضلِ ، هل تدرى بمن سوف تذهبُ

تقول لزوج خلفها لن أرى به ... بديلا ، فإن اليُتْمَ للخير أجلبُ

وقد قدرته يوم رفت غمامةٌ ... عليه ، تقيه الحر ، والشمسَ تحجبُ

رأته بأملاكٍ كرامٍ ، تحاوروا ... وكلٌ له قولٌ رفيقٌ مهذبُ

تنادوا عليه : يامحمدُ ، وانتحَوا ... به ، حيثُ شقوا صدره ثم طيّبُوا

وبثوا بروح المصطفى أمر ربهمْ ... هنيئاً له الفضلُ الذى راحَ يصحبُ

ولما تغشتْه من الوحي غمرةٌ .. ... وظلتْه نجوى ، وهو عنها مغيبُ

وقيل له : اقرأ باسم ربك ، هزهُ ... إلى النورِ تلماح السنَا وهو يُسكبُ

يقول له المختارُ ، ما أنا قارئٌ ... وما لى لسان في البيان ، فأعربُ

وسرى عنه ، وهو واعٍ ، وحافظٌ ... تزمله الزوجُ الحبيبُ المقربُ

ولما دنَا منه البراق مسلماً ... وراحَ به بين السموات ، ينهبُ

وأسرى بالمختارِ ليلاً ، وحفه ... بظلِ جناح الله شرقٌ ، ومغربُ

وفي المسجدِ الأقصى يصلى بصحبِه ... وهم أنجمٌ تزهى به ، وترحبُ

لقد بايعوهُ باللواء ، فأمهمْ ... وثَم ارتقى للعرش ، وهو مطيبُ

هنالك ظلتْهُ من الله آيةٌ ... لها الدهرُ يروى ، والسجلاتُ تكتبُ

ويوم غدا منه بحيرا مرحباً … يرجعُ فيه طرفَهُ ، ويقلبُ
يسر إلى عم النبي مناصحاً … لهذا الذى للأمرِ يدعى ، ويطلبُ
أبا طالبٍ : حاذرْ يهود ، فانها … لتبحثُ عنه جهدَها ، وتنقبُ
وان لهذا النجم فيكمْ لآيةٌ … تطل على الدنيا ، فما تتحجبُ
يدينُ بها بين الورى صفوةُ الورى … ويغشى قريشاً نورها ، فتكذبُ
لقد كذبوا المختارَ ، يابئسَ قالةً … يروحُ بها في كل يوم معقبُ
وناصبَه القومُ العداءَ ، وأفحشُوا … له القولَ في عدوانهم ، وتألبُوا
وأحجى بهم لو ناصرُوه ، وآزروا … فذلكَ أرعى للذمامِ ، وأوجبُ
ولكنهمْ ضلوا الطريق ، وصدَّهُمْ … عن الحق لؤمٌ غادرٌ ، وتعصبُ
وأوغر صدر القوم أن محمداً … لأمرٍ خطيرٍ مثل ذلك ينتدبُ
ألمْ يكُ فيهمْ مثله ذو رجاحةٍ … وما الرأى ، والدينُ الجديدُ محببُ !
لسوف يشق الأمر ان لم يبادروا … ويقصوه عن نجوى القلوبِ ، ويُجنبُوا
أبو طالبٍ يدعوه : يابن أخى ، أما … إليك سبيلٌ غير ذاك ، ومطلب ؟
إذا كنتَ تبغى الملكَ منه ، ، فعندنا … لك الملكُ ، والجاهُ العريضُ ، ومنصبُ
فيهتفُ : ياعماهُ ، ملءَ فؤاده … وقد دمعتْ عيناهُ ، وهو مقطبُ
لئن وضعوا الشمسَ المنيرةَ في يدى … وبدرُ الدجى من راحتى هو أقربُ
لما خنتُ عهدَ الله حتى أحقهُ … فأرضى به ، أو افتديه فأعطبُ
وقد آزرَ المختار صحبٌ ، تعلموا … على يده صدقَ الفدا ، وتأدبُوا
وكانوا كراماً من كرام ، وكلهمْ … أشد اصطباراً في الجهادِ ، وأدأبُ
إمامى ، وهادى المسلمين ، وقبلتى … إذا جئت استأنسى ، وبابك أرحب؟
ألى منك في يوم اصطفاق جوانحي … مجيرٌ ، إذا ما عز أمرٌ ، ومطلبُ ؟
وهل لفؤادى نفحةٌ قُدسيةٌ … من الحوضِ أسقى من نداهُ ، وأشربُ
إذا جئت يوم الحشر ، والناس جثمٌ … وأنتَ علينا المشفقُ المتحدبُ
ألوذُ بظلِ المصطفى ، وجواره … فآمن ما أخشى ، وما أتهيبُ
عليكَ سلامُ اللهِ ما رفَّ طائرٌ … على أيكهِ ، أولاحَ في الأفقِ كوكبُ.

ولقد كان الظن بمحمد الشاب الغض الاهاب أن يقنع بهذه الغنيمة المربحة من جمال خديجة وحسبها ونسبها وثرائها وترفها ، لكي يقضي حياته بجوارها في بحر من المتع واللذائذ الحسية . لكن محمدا حتى سورة شبابه كان فوق الظنون وأكبر من كل حساب . لقد كان يجاري ـ بعزيمته ـ سوابق الاقدار وما اختارته له من طريق مرسوم : ترك خديجة لشبابها ومالها وجمالها ورفهها، واختار ما هو أعظم : حنت طبيعته السامية الى غار حراء حيث الطهارة والصفاء والهدوء والاشعاع الروحي يتألق بكل ما له من جمال ورواء .

وهناك آثر العزلة وخشونة العيش شأن الحنفاء والزهاد المتنسكين من المتباعدين عن ارجاس الوثنية وأدرانها ، وكما تحدثت عنه عائشة رضي الله عنها ، حسبما يروى لنا البخاري في صحيحه . كان يقضي هناك الليالي ذوات العدد ، ثم يعود الى زوجه خديجة ليتزود لمثلها حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء بالآيات الخمس الاول من أعظم وأسمى بيان عرفته البشرية :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

وتتسامع قريش بوحي النور والرحمة والهدى وسعادة الانسانية ، فيقابلون الموحى اليه صلى الله عليه وسلم بالاستغراب ثم بالتهكم والتكذيب والسخرية من هذا اليتيم الفقير « اهذا الذى يذكر آلهتكم » « لو كان خيرا ما سبقونا اليه » « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » .

ثم يشفعون السخرية بالاذى المصبوب على رسول الهدى والنور وعلى المؤمنين به ، فلا تعصمهم بقعة من الارض سوى يثرب التي عرف فيها رسول البشرية حقيقة يتمه عند قبر أبيه لاول مرة في حياته وعلى مشارفها شاهد أمه آمنة تنزلق الى مثواها الاخير . الا ما أعجب أمر القدر في حياة محمد صلى الله عليه وسلم : في يثرب كتب أول خط في يتمه وحرمانه من أبويه ، وبعد حوالى نصف قرن يهاجر الى يثرب حاملا رسالته العظمى ، لتكون يثرب المتواضعة بعد ذلك بقعة من أشهر بقاع الارض ، تسمى المدينة المنورة ، على ساكنها وعلى آله وأصحابه صلوات الله وسلامه ، ومن يثرب تخرج كتائب الايمان مابين مهاجرين وأنصار تحت لواء أعظم انسان عرفه الوجود ، لتحطم جيوش الكفر وتفتح دار الوثنية مكة فتحا مبينا ليعود للبيت العتيق تاريخه كله من الهدى والاشراق ولتنزل في شأنه الآية الخالدة « انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ... » .

ومن المدينة التى كان اسمها يثرب ، يخرج الرسول الاعظم وحوله من حجاج البيت قرابة مائة ألف . وهناك ينزل عليه ختام رسالته الخالدة « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا .. » .

والى المدينة التي كان اسمها يثرب يعود رسول البشرية من حجة الوداع هذه ، ليشرف ثراها بجسمانه الطاهر في بقعة متواضعة من حجرة زوجه عائشة بالقرب من قبر ابيه وقبر أمه ، كما أختار القدر الذى تحار في فهمه العقول . اسم محمد المتواضع الذى كان في تواضعه يكسف شموس الاكاسرة والقياصرة ، أعظم واخلد اسم عرفه التاريخ ، يسير الى اليوم على هديه خمسمائة مليون من البشر وينادى باسمه على خمسمائة ألف من المساجد والمآذن مقرونا الى اسم ربه الاعلى خمس مرات كل يوم وليلة « وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور »



للشيخ أحمد الشرباصي
المدرس بجامعة الازهـر

النقود (١) هي عصب الاقتصاد ، لأنها نقطة الارتكاز التي تدور عليها مجالات كثيرة من نشاط الانسان وأعماله ، فهي وحدة للحساب ، وهي الوسيلة التى تتم بها المبادلة ، وهي الأداة المهيئة لاختزان القوة الشرائية ، ولا يتم فهم الكثير من الأمور الاقتصادية في حياة الدولة الا اذا فهمنا وسائل التبادل ، وأسس القيم للأشياء ، وتتمثل هذه الوسائل عادة فى النقود . كما أن النقود من الوجهة التاريخية تعتبر وثائق هامة ، لما تحمل من تواريخ أو أسماء أو نقوش .

وقد كتب عن النقود فى الاسلام كاتبون كثيرون ، مثل قدامة بن جعفر ، وابن بطوطة ، والقلقشندى، كما كتب المؤرخ الاسلامي المشهور المقريزى كتابا سماه « شذور العقود فى ذكر النقود » .

والشريعة الاسلامية تهتم اهتماما كبيرا بالنقود، وتتحدث عنها فى مناسبات كثيرة من أبواب الفقه الاسلامي ، كالمهور والنفقات وأجر الرضاع والديات والوقف وأنواع الزكاة . وفى الفقه الاسلامي قسم كبير ، يسمى قسم البيوع والمعاملات ، ويكاد يكون شطر الفقه الثانى المقابل لشطره الأول ، وهو شطر « العبادات » ، والبيوع والمعاملات تقوم فى أساسها على النقود .

وقد تحدثت الشريعة الاسلامية عن أنواع النقود وأسماء لها ومنها : ـ

(١) النقد فى الاصل هو تمييز الدراهم ، ثم استعملوا النقد بمعنى الاعطاء ، ثم أطلقوا الكلمة على الذهب والفضة .

١ ـ السكة . وهي النقود العربية التي تسك ـ أى تضرب ـ فى الدور الخاصة بصناعتها ، ولذلك تسمى « مسكوكات » أى مضروبات ، وقد تحتاج كلمة « السكة » الى شيء من الايضاح، وفى مقدمة ابن خلدون عبارة عنها لا بأس من ايرادها لمعرفة الأطوار التي مرت بها هذه الكلمة ، وهي : ـ

« السكة : ـ وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس ، بطابع حديد تنقش فيه صور ، أو كلمات مقلوبة ، ويضرب بها على الدنانير أو الدراهم ، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس ، فى خلوصه بالسبك مرة بعد اخرى ، وبعد تقدير أشخاص الدنانير والدراهم بوزن معين يصطلح عليه ، فيكون التعامل بها عددا، وان لم تقدر أشخاصها يكن التعامل بها وزنا .

ولفظ السكة كان اسما للطابع . وهي الحديدة المتخذة لذلك ، ثم نقل الى أثرها ، وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ، ثم نقل الى القيام على ذلك ، والنظر فى استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة ، فصار علما عليها فى عرف الدول .

وهي وظيفة ضرورية للملك ، اذ بها يتميز الخالص من البهرج بين الناس فى النقود عند المعاملات ، ويتقون فى سلامتها من الغش ، يختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة ، وكان ملوك العجم يتخذونها ، وينقشون فيها تماثيل تكون مخصصة بها ، مثل تمثال السلطان لعهدها ، أو تمثال حصن ، أو حيوان ، أو مصنوع ، أو غير ذلك ، ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى آخر أمرهم » .

وفى لسان العرب أن السكة (بوزن العلة) حديدة قد كتب عليها ، يضرب عليها الدراهم ، وهي المنقوشة ، وفى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس . وقد أراد بالسكة الدينار والدرهم المضروبين . سمى كل منهما سكة لانه طبع بالحديدة المعلمة له .

٢ ـ الدينار وهو وحدة من وحدات العملة الذهبية ، وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم ، حيث يقول : « ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك ، الا ما دمت عليه قائما » .

قيمة الدينار والدرهم

وقد قدر بعض الباحثين المعاصرين ذلك الدينار بنحو سبعة وعشرين قرشا ، ومنهم من قدره بنحو واحد وخمسين قرشا ، ولكن الأقرب الى الضبط هو أن الدينار يساوى ستين قرشا .

٣ ـ الدرهم وهو اسم لوحدة من وحدات العملة الفضية ، ويقال ان قيمته كانت سبعة أعشار الدينار . وهذا قول بعيد ، الأرجح أن أن الدرهم كان عشر الدينار ، وعلى هذا الاساس يساوى « الدرهم نحو ستة قروش . ويقول الجاحظ عن الدرهم : « الدرهم هو القطب الذى تدور عليه رحى الدنيا » وهو فيما يبدو يريد أن يبين أهمية النقد وأكثرها تداولا وهو الدرهم فى تحريك الحياة الاقتصادية . وكانوا يطلقون كلمة « النقرة » على الدراهم الفضية .

ولكن يمكن أن نفهم ـ الى جوار هذا ـ أن الدرهم كان اكثر من غيره استعمالا ، لأن أساس النقد فى المجتمع الاسلامي كان فى الغالب هو الدرهم والدينار فبهما كان يتم التبادل والتقدير والتعامل فى الدولة الاسلامية ، وعلى أساسهما تحدد الواجبات الشرعية المتعلقة بالمقادير المالية ، كالزكاة والكفارات والضرائب والمهور والنفقات والديات ... الخ .

٤ ـ الدانق وجمعه الدوانيق هو سدس الدرهم ، فتكون قيمته نحو القرش .

٥ ـ القيراط وهو نصف الدانق ، فتكون قيمته نحو نصف القرش .

٦ ـ الفلس وهو عملة نحاسية قليلة القيمة ، وهى تساوى جزءا من ثمانية وأربعين جزءا من الدرهم .

٧ ـ الورق (بكسر الراء) وهي النقود الفضية ، وقد جاء ذكرها فى القرآن الكريم ، حيث يقول : « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى

المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا » .

وقد أمكن معرفة مقادير هذه الأنواع من العملة والنقود – على وجه التقريب – عن طريق أوزان النقود الأثرية الاسلامية التى لا تزال باقية الى اليوم ، وفى المتحف الاسلامي بالقاهرة كثير منها . وممن عنوا بالكلام عن هذه النقود علمان من رجال الاقتصاد فى الاسلام ، هما البلاذرى فى كتابه « فتوح البلدان » والماوردى فى كتابه « الأحكام السلطانية » كما يمكن مراجعة ما يتعلق بهذا الموضوع فى كتاب « محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية » للخضرى ، وكتاب « النظم الاسلامية » لحسن ابراهيم ، و « التمدن الاسلامي » لجورجي زيدان ، و « الخراج والنظم المالية فى الدولة الاسلامية » لضياء الدين الريس .

مناطق

ولقد كانت الدولة الاسلامية فى الماضي منقسمة الى منطقتين : المنطقة الأولى يكثر فيها التعامل بالدينار ، أو يعتبر فيها هو أساس المعاملة ، كمصر والشام ، والثانية يكثر فيها التعامل بالدرهم ، أو يعتبر فيها هو أساس المعاملة ، مثل العراق وما جاورها ، ويمكن أن نسمي المنطقة الأولى « منطقة الذهب » لانها كانت تتعامل بالدينار وهو يصنع من الذهب – ويقابله الآن الجنيه عندنا – والمنطقة الأخرى« المنطقة الفضية » لأنها كانت تتعامل بالدرهم ، وهو مصنوع من الفضة – ويكاد يقابله الآن ربع الريال ، قطعة الخمسة القروش الفضية .

ولكن التعامل – مع ذلك – كان مقبولا بأحد النقدين فى هذه المنطقة أو تلك ، ويحول الى الآخر بحسب النسبة ، وهى ما نعبر عنه اليوم بقولنا « سعر الصرف » السائد فى السوق ، والذى تحدده الأحوال التجارية، دون تدخل من الحكومة .

ويلاحظ – كما ينص على ذلك كتاب الخراج والنظم المالية – أن هذه التقديرات كلها من حيث العملة فى ذاتها ، ولا يدخل فيها تقدير القوة الشرائية ، فالنقود قد تكون هي هي ، ولكن تختلف القوة الشرائية بينها اختلافا كبيرا أو صغيرا ، وفى العصر الحديث نعرف جيدا معنى « التضخم النقدى » ، فاذا أردنا أن نقدر ثروات الأيام السابقة ، وقيم الاجور ، ومستويات المعيشة، فاننا لا بد أن ندخل فى حسابنا مقدار « القوة الشرائية » للنقد فى العهد الذى هو موضع الدراسة ، بالنسبة الى قوة شراء العملة القابلة فى العصر الحاضر وينبغي أن نلاحظ أن وزن « الدرهم » وقيمته يختلفان بسبب اختلاف الأزمنة والأمكنة والاصطلاحات ، وقد جاء في مقدمة ابن خلدون أن الدرهم كان وزنه فى أول الاسلام ستة دوانيق ، والمثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع الدرهم ، فكل عشرة دراهم بسبعة مثاقيل، والسبب فى ذلك أن الدراهم كانت مختلفة عند الفرس . وكان منها على وزن المثقال عشرون قيراطا ، ومنها اثنا عشر ، ومنها عشرة ، فلما احتاج الفقهاء فى الاسلام الى تقدير الدرهم أخذوا الوسط من الثلاثة ، وهو أربعة عشر قيراطا ، فكان المثقال درهما وثلاثة أسباع درهم .

الدراهم أنواع

وكذلك كانت للدراهم أنواع فمنها البغلي وهو بثمانية دوانق ، والطبرى بأربعة دوانق ، والمغربى بثلاثة دوانق ، واليمنى بدانق ! . فلما كان عهد عمر اختار الأغلب فى التعامل وهو البغلي واليمنى وهما اثنا عشر دانقا ، فكان الدرهم ستة دوانق ، وان زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالا ، واذا نقصت ثلاثة اعشار المثقال كان درهما .

وقد تحدثت المقدمة كذلك عن حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين وبيان مقدارهما ، وأنهما كانا مختلفين فى المقادير والموازين فى الآفاق والأمصار ، وأن الاجماع – مع هذا – قد انعقد منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين على أن الدرهم الشرعي هو الذى يزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب ، والأوقية منه اربعين درهما ، وهو على هذا سبعة أعشار الدينار . ووزن المثقال من الذهب الخالص اثنتان وسبعون حبة من الشعير الوسط ، فالدرهم الذى هو سبعة أعشاره خمسون

حبة وخمسا حبة ، وهو أيضا ستة دوانق ، وكان هذا التقدير عرفيا فى بادىء الأمر ، ولما اتسعت رقعة الدولة اختلف التقدير ، وصار أهل كل أفق يستخرجون الحقوق من نقودهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية .

* * *

والمعروف أن العرب لم يضعوا لأنفسهم نقودا خاصة بهم قبل الاسلام ، بل كانوا يتداولون فيما بينهم نقود الفرس والروم ، ولما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام بدعوته لم يجد الجو صالحا لتغيير النقود المتداولة لأنه كان مشغولا من أمور الدعوة الاسلامية بما هو أهم ، وكذلك كان عهد أبي بكر ، ولما جاء عمر بن الخطاب خطا خطوة نحو استقلال النقد العربي الاسلامي ، فسك دراهم على صورة الدراهم الفارسية ، ولكنه نقش عليها كلمة « الحمد لله » وكلمة « محمد رسول الله » وكلمة « لا اله الا الله وحده » .

ولما جاء عثمان بن عفان سك نقودا ونقش عليها كلمة « الله اكبر » وهكذا نرى أن المجتمع الاسلامي قد ربط بين العملة والمبادىء الدينية ، وكأنه أراد أن يبث جانبا من التعاليم الأسلامية عن طريق قطع النقود المتداولة ، أو لعله أراد أن يذكر بالمبادىء الدينية عن طريق النقود ليصونها من يستعملها ، ولا يسيء التصرف بها ، ولما جاء معاوية صنع نقودا ، ونقش عليها صورته وهو متقلد سيفه،فكره المسلمون منه ذلك العمل، وانتقدوه لأنه يدل على حب الذات والميل للشهرة ، ويروى أن أحد الجنود قال لمعاوية عند ذلك « انا وجدنا ضربك للنقود شر ضرب » فهدده معاوية ، ومرت الأيام تباعا ، وجاء الحجاج بن يوسف الثقفي فى العهد الأموى فكتب اسمه على بعض الدراهم مقلدا معاوية .

ويروى أن عبد الله بن الزبير هو أول من ضرب الدراهم المستديرة ، وكتب على وجه منها « محمد رسول الله » وعلى الوجه الآخر « أمر الله بالوفاء والعدل » وكان المضروب مما سبق ذكره شيئا قليلا ، لم يعم التعامل به ، ولم ينهض على مقياس محقق ثابت ، وكان فوق هذا تقليد للمضروب فى بلاد فارس والروم .

تعريب العملة

ولذلك يقرر المؤرخون أن أول من عرب النقود فى المجتمع الاسلامي بصفة عامة هو عبد الملك بن مروان ، وبعد أن صنع نقودا عربية كاملة ، وطرحها للتداول بين الناس ، جمع ما فى الاسواق الاسلامية من نقود أجنبية ، وأعاد صياغتها .

وأخذت النقود تتطور فى عهد عبد الملك من ناحية الأحجام والأشكال والكتابة . فصار يكتب عليها مثلا من جهة هذه العبارات « لا اله الا الله وحده لا شريك له » ، و « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وبعضها يكتب عليه اسم الله . ويكتب عليها من الجهة الاخرى ما يشير الى تاريخ السك ، مثل « بسم الله ، ضرب هذا الدينار سنة سبع وسبعين » ثم هذا النص « الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد » .

ويقول ابن خلدون فى التنويه بالمجهود الذى قام به عبد الملك فى تعريب النقود وصيانتها « ان الغش كان قد تفاحش فى الدنانير والدراهم الى أن جاء عبد الملك وأمر بطبع العملة » وقد جاء فى كتاب « الخراج فى الدولة الاسلامية » فيما يتعلق بعهد عبد الملك بن مروان من الناحية المالية والنقدية ما يلي : ــ

« عادت الى الدولة وحدتها السياسية ــ اذا استثنينا فئة قليلة ــ فى عام ٧٤ هـ ، وقد شعرت الدولة اذ ذاك أنها ــ وقد أنهكت قواها الحرب ، وساءت حالتها المادية والمعنوية ، ولا سيما فى العراق الذى كان المسرح الأول للحوادث أنها لا بد أن تبدأ عهدا من البناء والتعمير ، لذا فان سلسلة من الاجراءات اتخذت ، فيما بقي من عهد عبد الملك، وفى عهدى الوليد وسليمان أيضا ، كان القصد الظاهر منها علاج الحالة المالية السيئة ، وزيادة موارد الخزينة .

ويمكن اذن اعتبار هذا العهد ــ ما دام له طابع عام يميزه ــ وحدة قائمة بذاتها ، وهو يمتد نحو ربع قرن (٧٤ ــ ٩٩ هـ) ، الى أن يلي الخلافة عمر بن عبد العزيز ، فتكون له سياسة خاصة ، ولنأخذ الآن فى بيان هذه الاجراءات .

البقية فى العدد القادم

سيرة النبي

دع البيد ترو الحادثات وتُعْــــرِبِ ... وتخبرك عما كان من مَجْدِ يَعْرُبِ

وللبيد أنظارٌ تُقَلِّبُ في المــــدَى ... على سَبْسَبٍ أرخى العنانَ لسَبْسَبِ

مسارحُ للأرواح لاحَتْ شُخُوصُها ... كما لاحَ في التمثيلِ أشخاصُ مَلْعَبِ

رمالٌ أحسَّتْ كُلَّ ركْبٍ على السُّرى ... فزادَتْ دُجى السَّارين فيها بغَيْهَبِ

هي البَحْرُ والأمواجُ كُثْبانُها التي ... تُقَلِّبُها الأرياحُ شَرْقاً لمَغْرِبِ

على جَمْرِها الظمآن مدَّ بطَرْفه ... فكَحَّلَ عينيه السرابُ بمَشْرَبِ

قوافلُ جازَتْها وللعيسِ هِـــزَّةٌ ... بأجراسها تُغْري الحُداةَ بمُطْرِبِ

وصوتُ الحُداءِ الحُلو يعلو به الصَّدَى ... ويذهب في تضعيفه ألفَ مذهبِ

★ ★ ★

من البيدِ بيد العُرْب هَبَّتْ أزاهرٌ ... فواعَجبي للرَّمْل يأتي بمعجب

هي العبقريات اللواتي تـــلألأت ... وهانَ لها في الدَّهر أصعبُ مَطْلَب

تَراخَتْ لها في الجاهليَّة أعهُــد ... وقد أطلعَتْ آفاقُها كل كوكب

ولكنَّ نوراً ساطعاً فاقَ في العُلَى ... وسَدَّ شهابَ الشَّمْس منه بأشهُب

أفديه في عقبى الزمان تولهــــا ... ولو جئتــه فدَيــت بالأم والأب

أتى القومَ بالدين الحنيف فهالَهُــم ... وثاروا به من جاحد ومُكــذِّب

وهمُّوا به كيْ يقتلُوه فأجمعُوا ... لهُ الحنْفَ وازدادوا شقيً بالتألــب

رأى الصَّحْبَ نزْرا والليالي حوالكاً ... ولا سيْف يعتامُ العُداةَ بمُرْهَب

ففارقَ أهلاً وهو يصبو لمكَّة ... وما كانَ في هَجْر الديار بمُذْنب

ولكنَّها الأوطانُ تقسو على الفتى ... فيهجُرُها لا عن قلىً وتجنُّــب

ذوو المرء حُسَّادُهُ يصلُونَهُ الأذى ... ويصمُونَه سهْماً على كُل منْكب

وكم من غريب شاحط الدار واجد ... على النأي من يهفُو له بالتقرُّب

كذلك جدَّ المُصْطفَى كان غُرْبَةً ... فسارَ بطرْف دامع نحوَ يثرب

وكانَ لهُ الصديقُ أمْناً وراحــةً ... لدُنْ لجاَ في جوْف غارٍ مُحجب

للدكتور زكي المحاسني
دمشق

إليكَ رسولَ الله جاءتْ مُطيعَــــةً ... ذُرَى الأوْسِ تشأوا خزرجا بالترحبِ

وجاء حسانُ الذى لَمْلَمَ الهَــوَى ... فَأولاكَ مِنْ شِعْرِ المديـــحِ بأعْذَبِ

هِيَ الهِجرَةُ ازْدَدْتَ الثبَاتَ بأَهْلِهَا ... وكم فيهِمُو مِنْ فَارِسِ الحَرْبِ أغْلَبِ

فَحَطُّوا عَلَى هَامِ الحِرَابِ نفُوسَهُم ... ورُحْتَ بِهِمْ تَغْزُو قريشا بِأحــرُبِ

فَلَلْتَ جُمُوعَ المُبْطِلِينَ وشَمْلَهُم ... وأَتْبَعْتَ فِى آثَارِهِمْ بالتعقُّــبِ

إلى أَنْ أتاكَ النصرُ واللهُ حـــارسٌ ... أخَا الحق في البَلْـــوَى وغيرَ مُخَيَّبِ

فحف بك الفتحُ المبــينُ لمكــــــة ... وقد جَاءَهَا جيشُ الخلاص بِصَيِّبِ

وعدْتَ إلى دارٍ وكانَتْ حَبِيبَـــــةً ... إليكَ عَلَى رَغْمِ الأسَى والتَّعَـذُّبِ

فَغَنَّتْ نِسَاء بالثنيات فَرْحَــــــةً ... يُلَوِّحْنَ بِشْراً بالبــنانِ المُخضبِ

★ ★ ★

وحينَ أتمَّ اللهُ نُعْمَاهُ راضيــــاً ... بدينٍ قويمٍ للأنامِ مُهَــــــذَّبِ

حَجَجْتَ وداعاً تملأُ العينَ دمعــةً ... وبتَّ لِلُقْيَانِ النوَى بالترقُّــبِ

وبَاتَتْ لِمَنْآكَ النفوسُ جَوازعـــاً ... تُنَاديكَ. إنْ تَهْمُمْ على البَيْنِ فاصْحبِ

فكان وفَا الأنصارِ قَبْرُكَ عِنْدهُم ... فَطَابَ ثَرَاهُمْ من تَجَاليدِ أَطْيَبِ

★ ★ ★

أَرَى المسلمينَ اليومَ ضَلُّوا عن الهُدَى ... وَقَدْ أمْعَنُوا من غَيِّهِمْ بالتنَكُّــبِ

فكَمْ منهمو مَنْ للشريعَةِ يَجْتَوِى ... وكَمْ عِنْدَهُم من لِلضَلالَةِ يَجتَبِى

وَرُبَّ أخي زُهْدٍ تَزَمَّتَ وادَّعَـــى ... وفي ثَوْبِهِ شَيْطَانُ دُنْيَاهُ يَختَبِى

أيَكْسبُ باسْمِ الدينِ مالاً ، وجَارُهُ ... يُقَضِى على الوَيْلاتِ ليلاتِ مُتْرِبِ

وكَمْ مِنْ فَتًى وَلَّى عنِ الرُشْدِ مُعْرِضا ... وحُجَّتُهُ كرهٌ لأهْـــلِ التَعَصُّبِ

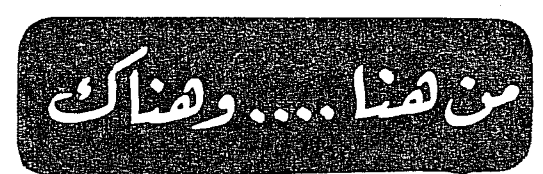
تَسَامَحْ فَقَدْ كانَ الرسولُ مُسَامِحاً ... وَسَهِّلْ لَهُ فِى الدين يُقْبِلْ وَيَرْغَبِ

★ ★ ★

إذَا شئْتَ للإسْلَامِ بَعْثاً وَرَجْعَةً ... وتُقْتَ لأيامِ العُلَـــى والتوثُّـــبِ

فَخُذْ شِرْعَةَ القرآنِ واحْكُمْ بِعَدْلِهَا ... ولا تَتَخِــذْ هَدْياً سِوَى سيرة النَّبِي





يكتبها : الاستاذ ع. النمر

لا تجعلنا فتنــة

آية من القرآن الكريم كلما وصلتاليها فى تلاوتىأو سمعتها ، وقفت عندها طويلا أتأملها على ضــوء واقعنا الذى نعيشه ، وازددت فى ضراعتىالى الله وأناأتلوها ، ((ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفــر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم)) .. انها دعــاءولكنه ليس دعاء مجردا بل دعاء يقتضي جهدا فــي التزام تعاليم الاسلام ، والتأدب بآدابه ، والتحلى بأخلاقه ، حتى يكون المسلم صورة طيبة مشرقة . مثالا فى كل قول يقوله ، وفى أى عمل يعمله ... وبذلكيكون صورة مجسمة للاسلام ويصبح دعاية طيبة له.. يجذب الناس اليه بقوله وسلوكه .... وهذه هي غاية التوفيق .

على أن الصورة المقابلة لها صورة كريهة .. انسان ينتسب الى الاسلام : ولكنه يتحلل من آدابه وتعاليمه.. فلا يؤدى فريضة، أو يؤديها، ولكنه يغش ويكذب ويحقد ويثير المشاكل بينالناس ويذكى العداوات فيما بينهم ، أو يتعامل بالربا ويسعى فى انزال الضرربمن حوله أو تحت يده .. أو ينهش اعراض الناس ويشيع عنهم قالة السوء .. مثل هذا المسلم ســبةوعار على الاسلام .. لا سيما اذا كان ممن يتحدثون عن الدين ويظهرون الغيرة عليه .. انه صورة كريهة منفرة من الاسلام أمام الذين لا يعرفون حقائقــه ، وحائلا بينهم وبين الاقبال عليه .. بل ويحمل ضعاف الايمان على ترك الاسلام أو التهاون فى التزام تعاليمه ، وهو بسلوكه السيء ينفر الناس من الاستماع للدعاةوالعلماء ، ومن قبول دعوتهم ونصحهم أو الالتفاف حولهم ومن اجل هذا علمنا الله ، أن ندعو هذه الدعوةونربط قلوبنا بها ونشكل أعمالنا على ضوئها ((ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا))لا تجعلنا بأعمالنا وأقوالناصورة سيئة للاسلام ودعاية ضارة له ، تحول بينه وبين اقبال الناس عليه وتقبلهم دعوتــه والاقتنــاعبهديه وأثره فى النفوس ..

والمسلمون الاول اتخذوا هذا الدعاء بما يجسمهمن عمل برنامج حياتهم وضابط سلوكهم ، فكانــوا هداية متنقلة أينما ساروا ودعاية طيبة له أينما حلوا،فأقبلت الملايين على الاسلام لحبهم للمسلمين وتقديرهم لأخلاقهم فى المعاملة . لقد كانوا يعملون كثيرا ويتكلمونقليلا .. وكان غير المسلمين يجدون فيهم الراحــة

النفسية فيطمئنون اليهم ويحبونهم ثم يشاركونهم دينهم وعقيدتهم .. وكان هذا سببا مباشرا فى أن الذين دخلوا الاسلام في البلاد التى لم تذهب اليها جيوش المسلمين أكثر من المسلمين الذين دخلت الجيوش بلادهم وحتى الذين دخلت الجيوش بلادهم لم ترغمهم هذه الجيوش على اعتناق الاسلام بل كان سلوك المسلمين هو الذى جذبهم اليه ..

والآن يكثر كلامنا عن الاسلام وفضائله . والكلام لا شك فيه خير .. ولكن كثيرا ما يضيع هذا الخير أمام السلوك السيء للذين يتحدثون ، وعدم التزامهم بما يقولون .. انهم حينئذ يأتون بنتيجة عكسية ويجنون على الاسلام وينفرون الناس منه .. لقد أصبحنا امة كلام وخطب ومقالات ، أما العمل أما القدوة الطيبة فهذا هو الذى ينقصنا .

لقد سئم الناس كثرة الكلام وأصبحوا ظامئين الى العمل والى القدوة ..

أقول هذا الكلام لي قبل أن أقوله لغيرى ،وأدعو الله من أعماق قلبي « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم ».

منطق عجيب !!

كاتب فى صحيفة بيروتية كتب ــ ونحن فى لفحات الذكرى الاليمة ــ يستعرض موقف الغرب فى حماسته لتأييد اسرائيل ومساعدتها .. ثم يقول « وفي ذلك دليل على مدى الخطأ الذى وقعت فيه وما زالت تقع فيه السياسات العربية .. الخ » وأنا لست من المعلقين السياسيين ولكن لي عقلا وضميرا أزن بهما الحوادث وأزن الكلام .. هل السياسات العربية هي التي جعلت الغرب متحمسا دائما لاسرائيل ؟ ! هل كانت السياسات العربية والساسة العرب ضد الغرب حينما أوجد اسرائيل سنة ١٩٤٨ ودعمها بكل قواه ؟! ألم يذرف الساسة العرب الدموع وهم واقفون طويلا أمام أبواب الغرب ، يستجدون العدل والانصاف ؟! . فهل شفع لهم كل هذا التذلل فى أن يجدوا عدلا أو انصافا أو حتى حيادا من دول الغرب ؟ !

فماذا يطلب الكاتب (العربي !!) من العرب بعد كل هذا ؟ هل يطلب منهم أن يركعوا دائما أمام الغرب ويقبلوا اليد التي تلطمهم وتجز رقابهم ؟!! أو أن منطق الكرامة ، المنطق الطبيعي لكل انسان أو شعب يشعر بكرامته أن يغضب ويثور ويقطع هذه اليد أو على الاقل يزيحها عنه ؟

كيف يلام العرب بعد كل هذه السنين التي وقفوها على أبواب الغرب يستجدون الانصاف حتى يئسوا ؟..!. كيف يلامون اذا قالوا للمخطىء أنت مخطىء ، وأخذوا يبحثون عمن يساعدهم فى محنتهم وهذا أضعف الايمان ؟

كان أحد البكوات الاغنياء ظالما متجبرا ، وكان يستمتع باذلال الفلاحين وضربهم بالكرباج ..

والفلاحون لا يستطيعون أن يرفعوا اصواتهم بالشكوى أو الانين ، والا اشتد فى ضربهم .. وكان لا يكف عن قسوته الا اذا تلذذ سمعه بمظاهر الذلة منهم ، فتعلم الفلاحون أن يقولوا له كلما ضربهم : « ضربك شرف لي يا سعادة البيه » .. فكيف عن ضربهم ، ولكن مؤقتا حتى تعاوده شهوة اذلالهم ..

فهل يراد من العرب الامجاد أن يمثلوا باستمرار مع الغرب دور الفلاحين ؟ !!!

حقا اذا لم تستح فاصنع ما شئت ، أو فقل ما شئت ..

حيدر بامات

مجاهد إسلامي فقدناه



فى الحادى والثلاثين من مارس سنة ١٩٦٥ توفي فجأة فى باريس ، أحد الشخصيات الاسلامية الفذة فى العالم الاسلامي المعاصر ، هو الدكتور حيدر بامات . ومما يؤسف له أن نشير الى أن نبأ وفاته لم يلق كبير اهتمام من قبل الدوائر الاسلامية ، وذلك بسبب الفوضى القائمة فى تلك الآونة . من أجل هذا يجب ألا نسمح لمزيد من التأخير للاحتفاء بذكرى ذلك العلم الجليل الذى عاش طول عمره متمسكا بتعاليم الاسلام، كما كان مجاهدا لا يني من أجل رفاهية المسلمين فى كافة أنحاء العالم . فقد جاهد طوال الفترة الاولى من حياته بشجاعة نادرة من أجل صد العدوان ، ولانقاذ الاسلام في شمال القوقاز ، موطنه الأصلي، من ظلم الغزاة القياصرة والبلاشفة من بعدهم . وكانت البقية من حياته ـ أكثر من ٤٠ عاما في خدمة القضايا الاسلامية عن طريق الكتابة ، والقاء

المحاضرات ومساندة الحركات التـي كانت تعمـل لصون مبـادىء الاسـلام والتراث الاسلامي .

ولد حيدر بامات فى الثالث من نوفمبر ١٨٩٠ م فى بلدة تامر خان شورا الواقعة شمال القوقاز . ومات أبوه وهو ما يزال صبيا فربته أمه ، تلك المـرأة التقيـة الكريمة المستقيمة التي تعهدته بتربيـة اسلامية شاملة . كما انحدر من الجنس الداغسـتاني ، الذى يتصـف بالكرامة والخشونة والوعي ، وهو شعب مسـلم يعيش فوق الجبال متمسك بالاسـلام وسننه الصحيحة . وهنا ترد فى خاطرى كلمات المارشال سولت الذى قال فى عام ١٨٤٣ : هناك ثلاثـة رجـال على قيد الحيـاة اليـوم ، يمكـن أن نطلـق عليهم « عظماء » وهم جميعا مسلمون : عبد القـادر (الجزائرى) ومحمد علي (المصري) وشـامل (القوقازي) ففي ذلك الحين كانت روسيا القيصرية تبذل محاولات للتوسع الاستعمارى جنوبا . وظل المسلمون فى شمال القوقاز لمدة قرن كامل (١٧٦٠ — ١٨٦٠) يقاومون بكل عنف المهاجمين من السلاف . واستمر زعيمهـم الامـام شـامل لمـدة ٢٥ سنة يجاهد ببسالة فائقة الغزاة الروس دون وجل ، حتى اسـتطاع أن يوقـف زحف جيوشهم عند الخليج . وأخـيرا سحقت المقاومة الاسلامية تبعا لقـوة الروس الهائلة وامكانياتهم المادية ، وأسر شامل عام ١٨٥٩ . وقد تـم اخضـاع شمال القوقاز عام ١٨٦٤ عندما استولت روسيا على سيركاسيا ، ونزعت كـل مظاهر القوة من أيدى المسلمين ، وكان نصيب هذه المأساة أن تتكرر للمرة الثانية بعد حوالي نصف قرن من الزمان .

درس حيـدر بامات القانـون ونـال اجازة الدكتوراة مـن جامعـة القديس بترسبيرج . ولما كانت داغستان موطنه الأصلي ، مركز ثقافة اسلامية فقد درس حيدر العلوم الاسلامية واللغة العربية .

بقلم الدكتور زكي علي
(جنيف)

وكانت مبادىء الأخوة والتضامن والحرية دائما أحب الأشـياء الى نفسـه . كما كانت ذكرى حروب الاستقلال التي قام بدور البطولة فيها الامام شامل تثـير الحماس فى قلب حيدر .

ثم قامت الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧ فكانت فرصة سانحة أمـام شعوب بلاد القوقاز ، لكي يؤكدوا حقهم فى الحرية ، وذلك بمحاولة الانفصال عن روسيا ، واقامة دولة مستقلة . فقـام الداغستانيون على وجه الخصوص بثورة وطنية جديدة ، كانت هذه المـرة تحت قيادة حيدر بامات الذى أثبت أنه خـير خلف للامـام شـامل . فجاهد ضـد المستبدين الروس ببسالة بفضل قـوة شخصيته وتمتعه بكثير مـن المواهب .

وفى مايـو عـام ١٩١٨ قامت أربـع جمهوريات مسـتقلة منهـا جمهوريتان مسيحيتان هما :

أرمينا وجورجيا ، وأخريان مسلمتان هما : (آذربيجان وجمهورية شـمال القوقاز أى (داغستان وسيركاسيا) ..

وفى يونيو ١٩١٨ كان حيدر بامـات رئيس وزراء ووزير خارجية فى جمهورية شمال القوقاز ، فعقد معاهدة صـداقة مع أقرب بلد اسـلامي هو تركيـا التي كانت مقرا للخلافة حينئذ . ولم يكن بد لدولة شمال القوقاز بصفة خاصـة أن تجاهد من أجل الحصول على استقلالها ، وذلك ضد جيـوش روسـيا البيضاء التابعـة للثورة المضـادة ، والتي كانت تهدف الى اعادة الامبراطورية القيصرية ،

كما كان عليها أن تجاهد الشيوعيين الذين تمكنوا فى النهاية من اخضاع المناطق الثائرة ، بعد أن بذلوا لها الوعود الكاذبة من منح الحرية والاستقلال ووضعوها تحت نير أشد وطأة من ذلك الذى قاست مرارته زمن القياصرة .

وفى عام ١٩٢١ عادت القوقاز باكملها مرة ثانية تحت سيطرة روسيا البلشفية . لذلك قام أعضاء الحكومات الوطنية لجمهوريات القوقاز وتبعهم عدد من المواطنين بالهجرة الى فرنسا (باريس) حيث جاهدوا من أجل نيل الاستقلال والحرية لبلادهم . ومنذ ذلك الحين عاش « حيدر بامات » فى المنفى كزعيم لحركة التحرير من أجل وطنه . فأخذ يحض مسلمي القوقاز على الاستعانة بجيرانهم من جهة الجنوب والشرق وهم تركيا والدول العربية وايران وافغانستان ، وهذه الدول كانت تعتبر نفسها حليفة طبيعية لاخوتها القوقازيين . وفى عام ١٩٢٩ الف حيدر بامات كتابا باللغة الفرنسية حول هذا الموضوع كله سماه « القوقاز والثورة الروسية » . وأهم ما كانت تنشره حركة التحرير مجلة شهرية هي « القوقاز » التي كانت تنشر باللغة الفرنسية والالمانية والروسية والجورجية والارمنية ، وكذلك باللغة التركية من وقت لآخر تحت عناوين مختلفة .

وفى عام ١٩٢٢ اجتمع حيدر بامات بالملك نادر شاه الذى منحه الجنسية الافغانية تقديرا لشهامته واعترافا بحنكته السياسية . والواقع أن سمو خلقه وبروز شخصيته ، وسعة اطلاعه ومواهبه الرفيعة قد اكسبته الاحترام من كافة الجهات الاسلامية . وحين اعتزل الحياة السياسية اثناء الحرب العالمية الثانية قرر أن يؤلف عن الاسلام والعالم الاسلامي كتابا كما عينته الحكومة الافغانية فى الوقت ذاته سفيرا مفوضا لها فى سويسرا . فشغل هذا المنصب فى العاصمة السويسرية (برن) عدة سنوات وكان موضع احترام وتقدير من جميع أفراد الدوائر الدبلوماسية الدولية .

وانه ليسعدني أن كنت صديقه الحميم زهاء ٢٠ عاما تقريبا ، حيث رأيته عدة مرات فى (جنيف) كما شاهدته فى مناسبات شتى فى (لوزان) حيث أقام عدة سنوات ، ثم بعد ذلك حين قدم اليها لأسباب صحية . وكنت أحمل دائما من محادثاتي معه ذكريات لا تنسى ، يشيع فيها عطفه ونزاهته وعلمه وحكمته وتقواه . فقد كان يبعث فى حديثه على الفور جوا من الهدوء والسكينة . كما كان يبدى دائما اهتماما بالغا بأوضاع المسلمين ، الذين كانت مصالحهم تشغل جل تفكيره وانتباهه . وكانت أحكامه التي يصدرها على الناس والأحداث سليمة متزنة . وبقي طوال عمره ثابتا مخلص الولاء للتصور والتراث الاسلامي . كما كان شديد التمسك بالرابطة الروحية التي تجمع المسلمين فى ظل أمة عظيمة من المؤمنين . فكان احساسه بالأخوة الاسلامية قوة دافعة فى حياته كمجاهد من أجل الحرية أولا ، كما كانت حافزا له كسياسي دبلوماسي وعالم ومؤرخ ومفكر بعد ذلك . وقد احتلت الصلاة وتدبر معاني القرآن الكريم مكان الصدارة فى حياته الروحية . وعندما أخذت صحته فى التدهور اضطر أن يستقيل من منصبه الدبلوماسي فى «برن» وينتقل الى « باريس » حيث عاش حتى وافته منيته .

مؤلفاته

صدر أعظم مؤلف للدكتور حيدر بامات باللغة الفرنسية التي كان يجيدها اجادة تامة . فقد نشر كتابا فى عام ١٩٤٦

بعنوان ((معالم الاسلام)) نقله الى اللغة العربية المترجم القدير المرحوم ((محمد عادل زعيتر)) فى الوقت الذى كانت تعد فيه طبعة أخرى باللغة التركية . كما تم نشر طبعة أخرى منقحة ومزيدة عام ١٩٥٨ (والناشر بايوت لوزان وباريس). وفى هذا الكتاب الشامل يكشف حيدر بامات نفسه كعالم ومؤلف مسلم يكتب بأسلوب رفيع واضح يزود القراء ببيان ممتاز لمبادىء الاسلام كدين ، وبأهم الصفات وخصائص التصور التي تميز المجتمع المسلم . كما يناقش قضية التوسع الاسلامي ، ويبين المفاخر النفيسة للحضارة الاسلامية ، ودور المسلمين فى الحضارة العالمية بصفة عامة . وقد نشر طبعة موسعةمن الفصل الخاص بالحضارة الاسلامية عام ١٩٦٢ سماه((دور المسلمينفىالحضارةالغربية)) وفيه يقوم المؤلف بدراسة مفصلة للأدب الاسلامي (وعلى وجه الخصوص الأدب العربي والتركي والفارسي) والفنون والفلسفة الاسلامية . وهو يركز اهتمامه فى الاشارة الى حركات الاصلاح ،والاحياء الاسلامية . كما ينظر الى التاريخ الاسلامي كقوة حية لها أبلغ الأثر فى الصورة الجديدة للحضارة الاسلامية .

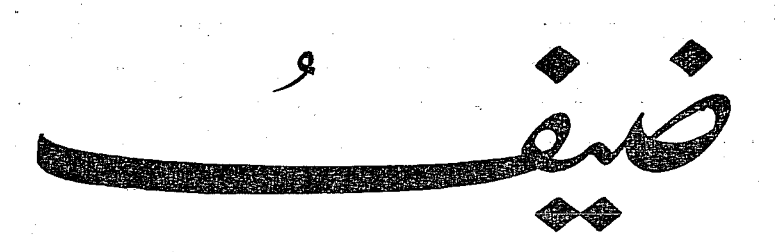
كما يستعرض الأحداث المعاصرة ، والتطورات الملحوظةفىالنواحيالسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وكذلك يستعرض التغيرات التي طرأت فى كل من الأقطار الاسلامية . وبصفته داعية سلام بالضرورة يوجه نداء أخيرا يدعو فيه الى مزيد من التفاهم والتقارب بين الشرق الاسلامي ، الذى تلعب شعوبه دورا هائلا فى العالم الحديث وبين الغرب المسيحي .

وباختصار فان كتاب «معالم الاسلام» مؤلف قيم يحتل مكانة مرموقة فى كافة المكتبات الاسلامية . وكان المؤلف يعد طبعة ثالثة ــ للجيب ــ يتوسع فيها فى الفصل الخاص بالتطورات الحديثة التي حدثت فى العالم الاسلامي ويجدد الكتاب كله . وكان المقصود منها أن تصبح فى متناول كلمنالجماهير المسلمة والقارىء الغربي . وقد انتهى اعداد كتاب عن تركيا ، ركز اهتمامه فيه حول ابراز الشعور الديني الصادق فى حياة الشعب التركي ، وهو الشعور الذى أدى الى عظمة الحضارة العثمانية . واستمر هذا الشعور ، فى رأى حيدر بامات يلعب دورا أساسيا فى الحفاظ علىحيوية الشعب التركي وسر بقائه بعيدا عن تغير أشكال الحكم .

وأخيرا فكر حيدر فى كتابة مؤلف عن الجامعة الاسلامية ، كان يريد ان يبين فيه صلاحية المبادىء الاسلامية الكبرى للتطبيق فى حياة الدول والمجتمعات الحديثة . وكان أساس نظريته السياسية يرتكز على دعامتين هما الاسلام والفيدرالية . وهما أساس فكرته حول امكانية اقامة نظام جامعة الشعوب الاسلامية . ولكن حيدر بامات الذى كانت صحته تتدهور بسرعة توفى مع الأسف قبل الانتهاء من مسودة كتابه القيم . ففي الفترة الأخيرة من حياته كان يقضي يومه بينالكتابة والتأمل الهادىء والصلاة .

وهكذا قضى ذلك الرجل الذى فقد فيه المسلمون عقلا موجها للعالم الاسلامي وشخصية فذة من شخصياته. ويا حبذا لو اتخذ الشباب المسلم شخصية هذا البطل قدوة يسيرون على نهجها .





بقلم الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد

خواطر كثيرة متلاطمة ، وافكار جمة طاحنة ، ومشاعر متباينة ضاربة .. تجيش كلها وتضطرب بعنف عنيف فى صدر ذلك الرجل الذى احدقت به الآلام ، وتناوشته الهموم والمرارات .

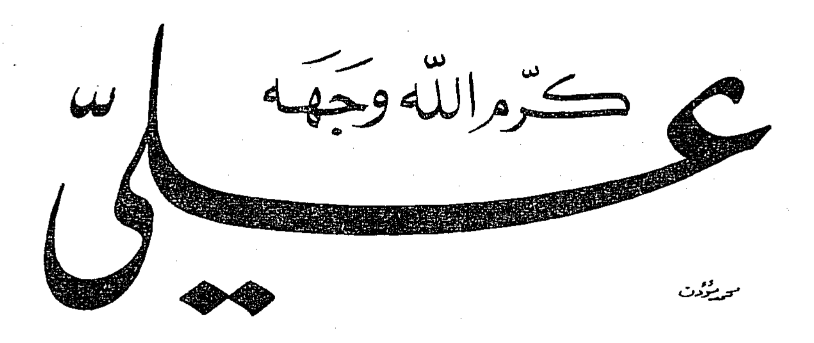
ان شيئا ما يضج فى داخله ان ((ليس هكذا خلق العالم ليكون)) .. ثمة ((نور)) لا بد وان ينبثق .قطعا هناك (شعاع فجر) لا ريب سيشرق اشراقة الوليد ميمون الطالع ، من دياجير الظلمة الثقيلة الكابية المؤسية ... لينبىء بالتحول ... وليعلن . الميلاد .

ولا شك أن تلك الأحاسيس الجياشة كان مبعثها ما أشيع من أنباء عن ظهور ((نبى)) عظيم بارض مكة ... الا ان الصورة لم تكن ــ بعد ــ قد اكتملت فى مخيلة ذلك الرجل المهموم من قبيلة غفار .. لقد كابد الكثير من صلف السادة ، وطغيان الكبار ، وتفاهة الصغار وضحالتهم .. وثارت نفسه الأبية كثيرا فى وجه صور الظلم الصارخة بالوضاعة والخسة ... وانتابته فى كثير من الاحايين نوبات من اليأس الكالح ، وهو يتلفت من حوله عن يمين وشمال فاذا الحلوكة تتكاثف ، واذا ابواب الامل تغلق مصاريعها بقسوة فى وجهه ، الواحد وراء الآخر .

لكن كان هناك ــ دائما ــ ثمة (خيط رفيع) من شعاعات الامل ظل وحده يضىء قلبه ... ويؤكد ــ همسا واهنا خافتا ــ فى وجدانه ان . (ما خلق العالم ــ حقا ليكون هكذا .. وان لا بد من فجر مؤكد) بعد ذلك الليل البهيم الطويل .. ثم كان ما تواتر من اخبار (محمد) صلى اللــه عليه وسلم . قيل له ان نبيا عربيا ظهر فى مكة يدعو الى اله واحد أعلى ليس له من شريك ، .. فلا (هبل) ولا (لات) ولا (عزى) .. وانه يقول كلاما حلو المذاق عظيم الوقع فى القلوب والاذان ، موسيقى الجرس نفيس المعنى ، يسميه قرآنا ، ويتنزل عليه من الخالق الاعظم .

وتلك كانت بوادر التفاؤل بتحقيق الامل الغالي الذى ظل يحلم به (ابو ذر) طويلا . لكم كان يحلم من قبل ــ مجرد احلام ــ بان يسمو المجتمع العربي ، بدلا من ان يظل كما هو آنذاك . فى انحدار مطرد مريع الى مهاو سحيقة من البوار ... فالاخلاق فى انحلال يتزايد يوما بعد يوم .. والذمم تتسع وتتراخى ، والروابط تنفصم وتنهتك عراها ، والتقاليد تسف وتزداد اسفافا ، وباطراد ... ترى .. هل آن أن يتحقق حلمه العريض على يدى هذا الداعية الجديد الذى يحكون عنه ؟ ؟ .

كان (ابو ذر) عربيا اصيلا ، شريف النفس صافى الجبلة ، لم تدنسه اوضار الجاهلية واوحالها من حوله ... ومن ثم فهو يصبو الى عدالة انظف ، والى مستوى من العيش اسمى واكرم .. لم يكن فى قرارة نفسه يؤمن بجدوى الخشوع الابله امام (اصنام حجرية) لا تملك لذواتها ضرا ولا نفعا .. وما كان قط راضيا عن عربدة القوم ومجونهم ، وانتهاكهم الحرمات ، واتجارهم فى الرقيق، ووأدهم البنات ، وما الى ذلك مما صار آنئذ ((سلوكا عاديا عاما)) لا يثير لدى احد ــ غير ابى ذر ــ ادنى الاستنكار ، بلْه الاستغراب .. لكن (ابا ذر) لم يكن عاديا ... كانت اعماقه النقية تطفح بأمل مبهم كبير ، فى (تحسين شامل) منتظر وكان فكره دائم الاهتزاز بما يمر فيه من آراء ، وما يتلاطم من افكار غامضة حيرى ، تموج وتفور .. ولكنها لا تتبلور ابدا عــن (قواعد) محددة ، و (دساتير) واضحة ، فى امكانها ان ترسم لمجتمعه الذاوى المنهار سبيلا اقوم .. فكيف يتم له ما يريد ؟ هو نفسه لم يكن يدرى ؟ .



وشغلت هذه الدوامة الخفية العاتية (أبا ذر) فلم ينتبه الى أنه قد توغل فى الصحراء بعيدا عن حدود قبيلته (غفار) . وبينما هو يراجع نفسه ، مستغرقا واياها فى حوار صامت ، وجدل رهيب لكنه مكتوم يحتدم اواره تحت (السطح) ، لا يسمع ، ولا تبين له على القسمات آثارا ، ابصر باعرابيين يمرحان معا وهما يتبادلان من فوق اثنين من الابل . حوارا مسموعا ...

وثمة كلمة حلوة الصدى ، صافحت أذنى (أبى ذر) فجعلته يرهف السمع ويتوارى خلف كثيب عال من الرمل ، يتسمع ما يقول الاعرابيان المقبلان فى طريق القوافل العائدة من مكة ... وكانت الكلمة العذبة هي بدء ما ترامى اليه من الحديث ..

محمد ... نعم ، هذا هو اسمه .

لكن .. احق ان يقتنع (الطفيل) هكذا سراعا كما يقول ؟ .

ذلك ما كان ... ان هى الا كلمات حدثه بها (محمد) عن دينه ، وتعاليمه ، وسطور قرأها له من .. من ال .. ذلك ال .

القرآن . أنى أنا ايضا احفظ اليسير منه ، لكنى اكتم ذلك عن القوم .

اجل .. وعلى الفور آمن به (الطفيل بن عمرو) واعلن انه اسلم ، وصار يتبع دين محمد .

الطفيل . ؟ .. سيد القبيلة .. اى مغنم لمحمد ، واى كسب لدينه .

ليت ذلك فحسب ، والا لهان الأمر بعض الشيء ... أما أتاك ان الطفيل لما عاد الى قومه انشأ يزين الاسلام لآله وبنى قبيلته ، فآمن كثيرون مثله ، وكان اول من اسلم ابوه وزوجه ، حتى بلغ عدد المسلمين فى القبيلة سبعين رجلا وامرأة ..

واللات ، ان هذا لشيء عجيب ..

ان مكة كلها ترتج لهذا ال ...

وكادت رأس ابى ذر ـ وهي تشب الى امام ـ ان تنفرس كلها فى كثيب الرمال ، تتبعا لبقية المحاورة التي انداحت اواخرها فى رحاب الصحراء الساجية بابتعاد ذينك الاعرابيين ، حتى لقد ود لو انه مضى وراءهما خببا يستكمل البقية ، و (يستجدى) استجداء ان يجيباه بما يشفى الغليل ، ويشبع الفضول من نهاية القصة وتتمة الفصول .

وسرعان ما نصب قامته ... وراح يلقى نظرة ملؤها الازدراء على ربوع (غفار) وفيها ما فيها من دواعى السخط ومسوغات القنوط .

واخذت حصيلة الافكار والاحاسيس تزداد فى اغوار وجدانه احتداما وجيشانا ، حتى خيل اليه ان قد صار لها ما يشبه دوى الطبول تصدر من أعماقه ، فلا يكاد يسمع لغيرها هديرا .

وعلى الفور عقد عزمه على ان يستجيب للنداء السحرى الغامض الغلاب .. لقد صمم على ان يلبي نداء الحافز المستتر القاهر . فمضى الى الطريق المضاد الذى سار فيه الاعرابيان .. بادر (ابو ذر) يتخذ وجهته قدما الى مصدر النبأ الجليل ، وموطن الاحداث الجسام ...

على التوّ يمم وجهه صوب مكة .

وعول (ابو ذر) على ان يتخذ من الانصات الذكى والتسمع المتئد والتقصى الوقور الحذر .

(وسائل استكشاف) ومقدمات معرفة ، خشية ان يحيق به سوء لو انه عمد الى الجهر والسفور ، فى ظروف صعبة كتلك التي سمع انها تواكب (الآن) دعوة محمد .

وفى مكة راح الاعرابى الواجم رقيق الحال يجوس الديار ، ويطوف بالشعاب والاركان ... غير ملق بنفسه الى تهلكة الافصاح والوضوح .

فى مكة سمع ــ اتفاقا ــ طرفا مكملا من قصة اسلام (الطفيل بن عمرو) ذلك السيد فى قومه ، الذى لم يكتف باسلامه هو ، بل نقل الاسلام الى قبيلته كلها ، فكانت تلك الضربة الاليمة شديدة الوقع على (حكومة مكة) ، ومن ثم فقد شددت الحصار على (محمد) ، وراحت تبتدع الأفانين الفلاظ فى منعه ، بكل الوسائل من الاتصال بطوائف الحجيج ، او وفود المتاجرين ، او اى غريب من النازحين .

وبينما (ابو ذر) يهم بسؤال شخص عند الكعبة عن حاجة عرضت له .. لم يدر الا وجندى مدجج من جنود مكة يتصدى له بوجه جهم وملامح مشدودة منكرة تنذر بالشر .. فسأله عمن يكون ، ومن اين اتى ، وماذا يريد ؟ لكن ابا ذر الحصيف ، صاحب الهدف الغالى وحامل الرغبة العارمة ، الذى يساعده فى مثل ذلك المقام (مظهره الرقيق) ، وطيبته الفطرية الوديعة .. لم يعدم كلمات ــ معقولات . ــ يقولها للجندى ،فلا يلبث ذاك ان يتركه لحال سبيله ، لكن بعد ان ينذره بالهلاك المحقق والضياع المحتم ان هو كان ــ او يحاول ان يكون . ــ من (رجال محمد) .

وابتعد ابو ذر عن الكعبة قليلا ، مشفقا متوجسا ، وقد ابصر فى كل ركن من اركان البيت العتيق عشرات من (الزبانية) ينبثون فى كل المواقع ... يتفرسون فى الناس .. ويتفحصون الملامح ... ويستشفون المقاصد ... والويل كل الويل لمن كانت به (مجرد شبهة) على انه يسعى الى (محمد) بن عبد الله ، فى أى شأن من الشئون ...

وفى احدى الامسيات ، وكانت قد انصرمت ليالى طوال ثقال منذ ان حل (ابو ذر) بارض مكة .. وبينما كان يضطجع وحيدا على أديم الثرى بالقرب من الكعبة ، وقد كاد ييأس تماما من العثور على منفذ يتصعد منه الى حضرة ذلك المبعوث الذى ايقظ اناسا من سباتهم واضاء للتائهين طريقهم ، اما الطغاة فقد زلزل طمانينتهم ، واقض مضاجعهم ... اذ ابصر برجل مهيب قسيم الملامح صبوح المحيا واثق الخطو ، يقترب منه هونا .. فيكاد ينخلع قلب « ابى ذر » المسكين ، ليس عن خوف هذه المرة ، ولكن . مهابة واجلالا ... (ماذا ؟ .. او يكون (هو) ؟ .. من يدرى ؟ لكن ..) غير ان الرجل الجليل قطع عليه تخيلاته ، وما كاد ينساق وراءه من ضروب التخمينات ... عندما ابتدره سائلا ، وهو يبتسم ابتسامة رائقة وضاءة .

ــ « كأن الرجل غريب ؟ ؟ » .

ــ هو ذاك .

ــ هلا صحبتني اذن الى دارى ، ضيفا كريما ، على رحب وسعة ؟ .

.... ؟ ..

بم يجيب « ابو ذر » ؟ .. لم يجبولكن اكتفى بان تبعالرجل مهيب الطلعة ، صامتا ،وعلىامل.

وهناك فى الدار المضيافة طعم وبات ليلته ، لكنه من شدة الذعر الذى اشاعه جند مكة فيه ، وبين عامة القوم لم يجرأ على ان ينبس بكلمة واحدة تتصل من قريب او بعيد بسره الدفين المكنون .

وراح المضيف يوفر لضيفه ــ ما استطاع ــ كل أسباب الراحة والمؤانسة .. لكن راعه منه حزنا ثقيلا ، وهما وشجنا ، وعبوسا وانطواء .. فتركه آخر الامر ليخلو بنفسه ، على سجيته ... وعندما اشرق الفجر قام يطل عليه ، فلم يجد له فى كل رحبات الدار اثرا ..

وعجب رب البيت لامر ضيفه الغريب .. لكنه فى سماحة ، وبسعة صدر ، التمس للرجل غريب الاطوار عذرا .. فقد تكون به خصاصة يؤثر ان يخفيها عن انفة وتعفف ، او قد يكون مضطرا لان يسعى وراء قوت عصى يستلزم نواله الصحو المبكر ولو فى الاسحار .

لكن .. ما ان خيم غبش المساء على قباب مكة ، حتى كان « الضيف الغريب » مقبلا على الدار كرة اخرى .. يالعجيب امره ... ها قد عاد وحده ...

وضحك بانشراح صدر وارتياح ، فالآن يستطيع تدارك ما قد يكون قصر فيه من واجب ضيافة ، نحو هذا الفقير الحائر .

وتمهل المضيف الكريم حتى فرغ الرجل من عشائه .. ثم راح يباسطه فى ود رفيق ، محاولا ان يزيل عن نفسه المكلومة ما ترزح تحته من غم ، وهم شديد والم ... فسأله .

« الا تحدثني ما الذى اقدمك هذا البلد ؟ ؟ » .

وارتعد « ابو ذر » فرقا ... فها قد جُوبِهَ ـ بغتة ـ بمن يسأله (صراحة) عن سبب المجىء ولكن أتراه يجيب ؟ ... وان لم يجب ، فكيف به يطعم فى بيت وينام فيه ، ثم لا يامن صاحبه ؟ انه ـ اذن ـ لضال خوان ان هو فعل ... فاجاب .

« ان اعطيتني عهدا وميثاقا ان ترشدني ... فعلت » .

اعاهدك بالله العلى العظيم ان ارشدك و ......

مهلا .. ما هذا الذى قلت ؟ ... تعاهدني بـ .. ماذا ؟ .. فانت من اولئك الـ .. ؟ ؟

وضحك صاحب البيت مرة اخرى وهو سعيد يربت كتف ضيفه المقرور جزعا ورعبا ، ثم قدم له نفسه فى اعتداد وبساطة اشعارا له بالامان .

انا صاحب رسول الله (محمد) .

انت ؟ ؟ ... من انت ؟ .

انا علي بن ابى طالب .

وما ان افصح ابو ذر عن امنيته الكبرى ، حتى عاجله (علي) بقوله .

هلم بنا الى حضرة « محمد » .

وفى الطريق راح ابو ذر المرتجف شوقا ، المضطرب حنينا ، والمفعم خشية على الحلم الكبير ان يفسده (الصحو) على يد الجند فيضيع هباء .. راح يقص على مسامع (علي) بقية الامر ، وكيف انه لما اتقد العطش فى قلبه وعقله جميعا . جاء يلتمس لقيا محمد ، ليكون على بينة ، ولينظر عن كثب فى كنه الحقيقة ... وحكى له طرفا مما كان يفعل الجند بكل غريب وافد ، من حصار وتضييق خناق ، فلا يخلى للطائف والمار سبيل الا اذا قدم البراهين الدامغة على انه ابعد ما يكون سببا عن محمد وطريق محمد .

وعلى باب البيت الذى اتخذ منه النبي العظيم (محمد) قاعدة اولى لنشر بواكير نور الاسلام على مكة والعالم العربى .. همس علي بن ابى طالب فى اذن ابى ذر الغفارى .

« اتبعنى ، وادخل حيث ادخل .. فان رأيت احدا اخافه عليك دنوت من الحائط كانى اقضى حاجة ، فامض انت » .

كان الاسلام قوة جديدة خارقة ، ارتعدت لاشراقها فرائص الفجار والبغاة ، فكان النكال يزداد ضراوة ، والبطش يطرد عنفا وشدة كلما انتشرت رقعة النور ، وكلما تكاثر عدد الذين يدخلون فى دين الله افواجا ... ومن ثم كان الحرص على ان يظل النور مطرد الانتشار والشمول . رائدا للنبي وصحبه ان يأخذوا بالحكمة وان يتصرفوا بالمنطق والتعقل ، حفاظا على جلال الدعوة ان تصطدم مع الزبانية الضالين وهى لما تزل ـ بعد ـ فى مهدها .

وفى الحضرة المنورة كاد يغشى على ابى ذر وهو يجد نفسه بين يدى (محمد بن عبد الله) خاتم الانبياء والمرسلين ، ناشر الوية الاسلام ، الذى يتنزل عليه القرآن من السماء ...

واستمع أبو ذر وقلبه يختلج ـ لاول مرة ـ بفرحة حقيقية عارمة الى آيات الكتاب ، وتعاليم الاسلام .. ولم يكد يقوى على ان يتحمل نشوة كهذى عظيمة القدر ، فما اسرع ان جأر بصـوته يعلن اسلامه ، ويشهد الله والناس على انه مسلم وان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ونبى خير امة أخرجت للناس . بل لقد عاهد الرسول على انه سيحمل دعوته الكريمة الى (غفار) بين آله وقومه ، كما حملها من آمن بها قبله ، مثل (الطفيـــل بن عمرو) وغيره وغيره .

وتبسم « محمد » صلوات الله وسلامه عليه ، راضيا سعيدا بذلك العبد المؤمن يدخل ديـن الله عن وعى واقتناع ، غير مسوق ولا مجبر ... لكنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عاد فخشى عليه من الاعداء المتربصين خارج مكة وداخلها ، فقال له مودعا ومحذرا .

« يا أبا ذر .. ارجع الى قومك فاخبرهم ، واكتم امرك عن اهل مكة ، فانى اخشاهم عليك » .

ولا ريب ان ابا ذر فهم ووعى معانى قول الرسول .. ذلك الى ما رآه هو بنفسه رأى العين من ضروب التنكيل والفتك بكل من تؤخذ عليه (شبهة) بأنه (يعرف شيئا عن محمد) .

لكن ابا ذر ـ من وجهة اخرى ـ لم يعد يحس الا انه صار شيئا جديدا ، كل الجدة ... لم يعد ذلك البائس الذليل الذى جاء يرسف فى اغلال المهانة يتلصص بين شعاب مكة ودروبها متسقطا فى حرص مذعور اخبار نبيها الجديد .. الآن اصبح (ابو ذر) خلقا آخر ... ثمة « جرعة عظيمة الفعالية » فى روحه العطشى فاروت واشبعت ، ثم الهبت فيـــه كوامن العزة ، وهواجع العظمة والسيادة ....

حاشا ان يكون فهمه قاصرا عن معنى التحذير الذى اسداه اليه رسول الله ، خشية عليه من جفاة مكة الموتورين غلاظ الاكباد ... انه يفهم تماما ، ويعى جيدا ، ويقدر تمام التقدير ماذا سيكون المصير الذى سيلقاه على ايدى الكافرين لو ان الزكانة ورباطة الجأش خانتاه ، فاظهر ما ينم على انه « ذو صلة ما بمحمد » ... فما باله لو قد لاح عليه انه (اسلم) وآمن بدين الاسلام الذى ينشر (محمد) مصابيح نوره ؟ .. انه ـ اذن ـ للدمار الماحق الذى لا مفر منه ولا محيص .

ولم يمض طويل وقت حتى كان علي بن ابى طالب رضي الله عنه عائدا من الحضرة الشريفة فى الطريق الى بيته مارا بالكعبة ... فرأى جموعا من الناس تقتتل وتتشابك بالايدى ويستطير من تحت النواصى والاقدام عجاج العثار مختلطا بصيحات مستعرة لا تكون ـ عادة ـ الا فى ميدان وغى او حومة من حومات الحروب .. واذ اقترب من المعمعة يستطلع جلية الامر ... سمع مقاطع من صرخات المتعاركين المتقاتلين « بل وجاء يتحدانا » . و « الا يقيم وزنا لمشاعر اللات ، وكرامـة هبل ؟ » . و « اقتلوه قتلا ذلك الخارج عن دين آبائنا واجدادنا » . ثم (أرأيتم) ؟ ... كاد يتغلب علينا جميعا ذلك المجنون . ، وايضا سمعته يقول بملء فمه انه مسلم ، وراح يدعونا نحن الى الاسلام مثله ... ولكنه سمع ايضا صوتا مجلجلا عاليا طغى على جميع الاصوات ... وكان صوت (العباس بن عبد المطلب) يصرخ فى الناس وهو يدفعهم بقوة وبكلتا يديه عن (شيء) عنيد باسل صعب المراس جبار الدفاع تكالبوا كلهم عليه يبتغون فتكا به ذريعا .

« ويلكم .. الستم تعلمون انه من بنى غفار ، وان طريق تجارتكم الى الشام يمر عليهم ؟ ...

فرفعوا ايديهم عنه ، وما ان فعلوا حتى هب من تحت أيديهم كالعملاق الضارى المسحور « ابو ذر » ، مواصلا ـ من جديد ـ تحدياته ، مكررا باعلى صوته انه مسلم ، مسلم ، مسلم ، وانه يشهدهم جميعا على ان لا اله الا الله ، وان محمدا نبى الله ورسوله ، وانه منطلق الى قومه ، حاملا اليهم الاسلام فى قلبه .

ورفت على شفتي علي بن ابى طالب ابتسامته الوادعة ... وعجب ـ مرة اخرى ـ لضيفه هذا الغريب العجيب ... الذى جاء اول الامر يمشى على استحياء وفى ذلة يتسقط الانباء همسا حذرا ، ويذوب جوعا الى المعرفة وعطشا .. فاذا هو الآن ـ وعلى الرغم من تحذيره ونصحه ... منه ومن صاحبه النبى نفسه ـ ها هو ذا لا يمضى فى صمت كما نصحه اولو الامر وحذروه ... وانما هو ، بدافع الفرحة العظمى بالهداية الحقة ـ يأتى بقدميه عامدا ، الى هنالك بالذات حيث معقل طغاة الفجار والكفرة اللئام ... والى قلب قاعدة الاصنام... يدعو سكارى الغافلين الى الاسلام...

وتمتم (علي) وهو يتبع ببصره الغفارى المؤمن ، حتى غاب طيفه المحلق الشامخ فى آفاق مكة .. بكلمات لم تستبين ، وان كانت شواهدها تقول ما معناه . « جئت ضعيفا خائرا مكلوم الفؤاد يائسا ، مشتت الفكر جزعا حائرا ... وها انت ذا ـ بعد الجرعة الاولى من النبع الشهى المطهر الاسمى ـ تمضي قويا مرفوع الرأس ، وضاء الجبين ، ممتلىء الاهاب ايمانا وقوة وعزة ... فاهنا بما به رويت ... واذهب فى رعاية الله أبا ذر » .



الدكتور محمد عبد الرءوف

> أرسل الينا هذه الرسالة الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المؤسسة الاسلامية فى نيويورك ، وقد وصل الى هناك فى ديسمبر الماضي ..
>
> والدكتور من خيرة الأزهريين المعروفين بنشاطهم وأعمالهم فى البلاد الاسلامية . عمل بالكويت ، ثم شغل منصب مدير الكلية الاسلامية فى الملايو نحو عشر سنوات ثم شغل منصب رئيس قسم البعوث بالأزهر فمدرسا بالجامعة الأزهرية قبل أن يختار لمنصبه الحالي ..
>
> وقد أرسل الينا هذه الرسالة التي ننشرها له شاكرين ، راجين أن ننشر له كثيرا من البحوث والرسائل عن امريكا والاسلام مع تمنياتنا له بالتوفيق فى مجاله الجديد .
>
> « الوعى »

عقد لمدة يومين ، الثامن والتاسع من مارس ١٩٦٦ مؤتمر بالمركز الكنائسي المواجه لهيئة الأمم المتحدة عن « الشعوب الدينية بمنطقة الشرق الأوسط » . وقد دعا الى هذا المؤتمر مجلس الكنائس الوطني للولايات المتحدة الامريكية . وكان هدفه كما جاء فى برامجه الرسمية « اتاحة الفرصة للقاء بين ممثلين للهيئات الدينية والمنظمات غير الحكومية فى الشرق الاوسط » لدراسة التطورات والتغييرات التي تعانيها تلك الأمم وكيف تستجيب هذه الشعوب لعوامل التغيير .

كان المتحدث الأول فى اليوم الأول الاستاذ « جون بادو » مدير قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة كولومبيا

الذى كان عميدا للجامعة الامريكية بالقاهرة من قبل ، كما كان سفيرا للولايات المتحدة الامريكية لدى الجمهورية العربية المتحدة سابقا ، والذى زار بعض بلاد الشرق الأوسط ومنها الكويت أخيرا . تحدث الاستاذ المذكور عن العوامل والمؤثرات فى حياة شعوب الشرق الأوسط قديما وحديثا . وكان أهم ما ركز عليه فى حديثه أن الاسلام أشد العوامل تأثيرا فى حياة هذه الشعوب وان ما قد يبدو من مواقف علمانية لبعض الدول الاسلامية فى الوقت الحاضر فانما ذلك امر سطحى ، والحقيقة ان الاسلام كان ولا يزال من أهم الدوافع والعوامل للمسلم كفرد وللمجتمع كدولة .

وتحدث عدد آخر من اساتذة الجامعات المختلفة عن مختلف الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية وختم اليوم الأول الدكتور « أدوين م رايت » اخصائي فى شؤون الشرق الأدنى بوزارة الدولة لحكومة الولايات المتحدة الامريكية بحديث عن « الوحدة العربية » وكان هداما ، فقد سرد عوامل الوحدة السياسية وذكر أنها اللغة أو الجنس أو الدين أو الثقافة أو الخوف المشترك او الحدود المشتركة او المصالح المشتركة أو القيم المشتركة ثم حلل كل واحدة من هذه القواعد وشرح كيف أنها لا تصلح تكئة تقوم عليها وحدة العرب السياسية، فقال مثلا ان العرب لا يتكلمون بلهجة واحدة بل قد لا يفهم عربي فى العراق عربيا فى المغرب ، واللغة الفصحى وان كانت متفقة غير أنها لا يعرفها الا القليل (هكذا !) ، وأما الجنس فذكر أن كل دولة عربية تقريبا تتكون من عدد من الشعوب والاجناس .

أما الدين فزعم ان الاسلام لم يوحد المسلمين الا ثلاثة أعوام عندما استطاع محمد أن يقسر قومه بحد السيف على الاتحاد تحت سلطانه بعد ان قهر مكة عام ٦٢٩ (هكذا) على أن الاسلام يدعو للعدوان والحرب فيقول « واقتلوهم حيث ثقفتوهم » ولقد لقى الخليفة الثاني والثالث والرابع حتفهم اغتيالا ، ومنذ مات محمد ما اتحد العرب (هكذا) ، واما الثقافة فليس للعرب ولا للاسلام ثقافة وانما هي ثقافة الاغريق نقلها الى العربية غير عرب تحت لواء خلفاء نصفهم فارسي (هكذا) ... وهكذا كانت محاضرته هدامة مدلسة تستفز المشاعر ، ولما استأذنت وعلقت عليها سلّم بأنه قصد بها الاستفزاز ؟ وكان هذا موقفا عجيبا !

ولما قلت ان قول الكتاب « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » يرجع للمعتدين المشار

اليهم « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » حاول اثارة الغموض حول معنى العدوان ! .

وفى اليوم الثاني كنت أول المتحدثين ، وكان موضوعي عن الاسلام ودوره فى الحياة المعاصرة لشعوب الشرق الأوسط . وقد ركزت على شمول الاسلام وأنه ليس هناك دين ودولة ، وعلى مرونة الاسلام وصلاحيته لمواجهة حاجات كل عصر وبيئة ، وسقت الأمثلة على ذلك ، وذكرت ان الاسلام لمرونته قد يتقبل عناصر ثقافية لا تتعارض مع مبادئه الأساسية ، ولكن ما يبدو الآن من مفارقات انما هو نتيجة الاستعمار الغربي الذى فرض على بلاد الاسلام أوضاعا اقتصادية وقانونية ما كان هناك ما يقتضيها لو حسنت نية المستعمر وطوّر الاوضاع على ضوء تقاليد البلاد وعقيدتها . على أن أنواع التغيير التي نشاهدها ليست كلها ناشئة عن الاحتكاك بالغرب بل ان هناك عوامل داخلية ناشئة « عن تغير الزمن نفسه وطبيعة التطور ذاتها ، ومهما يكن من أمر فان المسلمين يتطلعون ــ لا الى ثلاثة عشر قرنا أخرى من حياة الاسلام كما يزعم بعض المؤلفين الغربيين ــ بل الى مجد دائم للاسلام والمسلمين بعد أن ينفضوا غبار الضعف الذى نشأ منذ غارات المغول الوحشية وعدوان الصليب المقوت . وقد سرني تعليق الحاضرين ورئيس الجلسة حيث أكد موافقة الحاضرين لما أشرت اليه من ردود على زعم دكتور رايت ، وذكر أن أكثرهم لا يرى رأيه .

ثم تعاقب المتحدثون ، وكان مما يلفت النظر محاضرات المتحدثين باسم الكنائس المختلفة عن موقفها من الاسلام ، وكانت الخلاصة أن موقف الكنائش أول الأمر من الاسلام كان عدائيا مغالطا مشوها للحقائق ، وكان على رأس هؤلاء « سانت توماس اكويناس » الذى شوه شخصية محمد ودينه بشكل فاحش نفر منه المسيحيين ، ولكن نتج عن قيام أجيال من علماء الغرب الذين كرسوا حياتهم لمعرفة الحقائق دون حيف قدر الامكان ان تكشفت الحقيقة وظهر أن هناك مبادىء سامية يشارك فيها الاسلام المسيحية مما نتج عنه بيانان للبابا زعيم الكنيسة المسيحية فى عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٥ عبر فيهما عن مزايا الاسلام ومدى قربه من المسيحية .

وكانت شهادات غير المسلمين للاسلام بين حين وآخر فى بلد ملحد مادى صهيوني تهتز له المشاعر وتتحرك لها النفوس ! .



السؤال :ـ

ورد من مسلم باستراليا السؤال الآتي :

مسلم تزوج مسيحية وعقد عليها فى استراليا • بشهادة مسلم ومسيحية والموثق مسيحي فهل يصح هذا العقد شرعا ؟ •

الجواب :ـ

للاجابة يتعين البحث فى امرين .

١ ـ شرط وجود الولى فى عقد الزواج .

٢ ـ جواز زواج المسلم بغير المسلمة وشهادة غير المسلم على عقد الزواج . اما الولاية .

فقد اتفق المالكية والشافعية والحنابلة على ضرورة وجود الولى فى النكاح فنكاح يتم بدون الولى يقع باطلا فليس للمرأة ان تباشر عقد زواجها سواء كانت كبيرة ام صغيرة لقوله عليه الصلاة والسلام « ايما امرأة انكحت نفسها بغير اذن وليها فنكاحها باطل » . وذهب الاحناف الى ان الولى ليس بضرورى فى البالغة العاقلة بكرا كانت ام ثيبا لانها صاحبة الحق فى تزويج نفسها ممن تشاء ثم ان كان غير كفء فلوليها الاعتراض وقالوا ان كل الاحاديث التي يفيد ظاهرها اشتراط الولى خاصة بالصغيرة وفاقدة الاهلية التي لا يصح لها ان تتصرف .

اذ ان النكاح عقد من العقود كالبيع والشراء . وللمرأة البالغة الحرية المطلقة فى بيعها وشرائها متى كانت رشيدة . ولها كذلك عقد الزواج بنفسها قياسا على صحة تصرفاتها فى شئونها المالية .

واما زواج المسلم بغير المسلمة وشهادة غير المسلم على العقد فان المقرر شرعا انه يجوز للرجل المسلم ان يتزوج امرأة كتابية لقوله تعالى « اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن » .

ويترتب على هذا الزواج آثاره من حقوق وواجبات كزواج المسلمة الا انه يختلف فى امور . منها انه يصح ان يكون شاهدا الزواج غير مسلمين ، واذا مات احدهما فلا يرثه الآخر والاولاد يكونون تبعا لابيهم فى الدين .

والشهادة شرط لعقدالزواج فلا بد ان يحضرهشاهدانلقوله عليهالصلاةوالسلام « لا نكاح الا بشاهدين » والاحناف والمالكية والشافعية والحنابلة والشيعة الامامية يشترطون الشهادة ، وان كان الامام مالك يرى ان الشهادة ليست شرطا لانشاء العقد وصحته ابتداء ولكنها شرط عند الدخول فلو دخلا بلا اشهاد وجب الفسخ جبرا وهناك قول فى مذهب مالك وابن حنبل ايضا بعدم اشتراط الشهادة ابتداء ولا انتهاء عند الدخول لصحة عقد الزواج اكتفاء باعلانه للناس ليتميز عن الزنا .

وقد ذكر الاحناف انه اذا كان احد طرفي العقد وكيلا وكان الاصيل موجودا ولا يوجد سوى شاهد واحد فلا مانع من اعتبار الوكيل شاهدا ثانيا ليكمل نصاب الشهادة وهو رجلان او رجل وامرأتان وبما ان هذا العقد حضره رجل مسلم وامرأة مسيحية وهذا غير كاف فى نصاب الشهادة فلا مانع من اعتبار الموثق شاهدا ليكمل النصاب الشرعي قياسا على اعتبار الوكيل مكملا للنصاب .

لهـذا نرى ان العقد المذكور صدر صحيحا مستوفيا شرائطه واركانه وتترتب عليه آثاره من حقوق وواجبات .

انتظار الصــلاة

السؤال : ــ

جرت العادة في بعض المساجد أن تؤخر اقامة الصلاة عن الاذان فترة طويلة قد تمتد الى ٣٠ دقيقة وقد نبهت أحد أئمة المساجد الى هذا فأجاب بأن السنة أن يفصل بين الأذان والاقامة بفاصل يتسع لحضور المصلين الجماعة ، فما رأيكم في هذا .

ف . م . ص ــ الكويت

الاجابــة :

يسن للمؤذن أن يجلس بين الاذان والاقامة بقدر ما يحضر الملازمون للصــلاة في المسجد مع المحافظة على وقت الفضيلة ، الا في صلاة المغرب فانه لا يؤخرها ، وانما يفصل بين الاذان والاقامة فيها بفاصل يسير قدره الحنفية بما يسع قراءة ثلاث آيات قصار ، وقدره الحنابلة بجلسة خفيفة .

ونرى أن امتداد الفترة بين الاذان والاقامة الى نصف ساعة أمر يتضرر به بعض المصلين من أصحاب المصالح كالتجار والعمال والمسافرين وغيرهم وربما يصرفهم عن صلاة الجماعة ، والدين يسر لا عسر . وبجانب هذا نود أن نشير الى أن جلسة خفيفة في المسجد هي رياضة روحية للمسلم تجدد نشاطه ، وتقوى عزمه على مواصلة الكفاح والنضال في الحياة ، وهو في هذه الجلسة الطاهرة تتنزل عليه رحمات الله ومغفرته قال صلى الله عليه وسلم « لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه . ينتظر الصلاة ، والملائكة تقول اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يحدث » . وخير الأمور الوسط .

في الميراث

الســؤال : ــ

سأل السيد / حمدان النزال المعصب / شارعمسجد النزال/الفروانية/الكويت السؤال الآتي :ــ

١ ــ توفــي الى رحمــة الله تعالى فهــد هاديالردعـــان ، عن ورثته وهم :

والدته (ميثة ردعان) وابنه (هــادى) وبنته (رقيـــه) .

٢ ــ ثم توفيت بعده والدته (ميثة) المذكورة عن بنتها (نويـــر) وولدى ابنها فهد الذى توفي قبلها وهما هادى ورقيـــة المذكورين .

الاجابــة : ــ

بوفاة المتوفى الاول فهد هادى عن والدته وولديهالمذكورين توزع تركته على الوجه الاتــي : ــ

أ ــ للام السدس فرضا . والباقــي لولديهالمذكورين للذكر مثل حظ الانثيين .

ب ــ بوفاة المتوفاة الثانية (ميته ردعان) عــنبنتها وولدى ابنها فهــد الذى توفى قبلهــا تــوزع تركتها على الوجه التالى ــ

للبنت النصــف فرضــا . والباقــي لولدىابنها وهما هادى ورقية المذكورين للذكر مثل حــظ الانثيـــين .

والله أعلم ،،،

الســؤال : ــ

توفي شخص وترك ورثة هم :

بنــت ــ أخت شقيقــة ــ أخ لاب ــ أختلام .. فما نصيب كــل وارث .

م . ح . الاردن

الاجابــة : ــ

للبنت النصــف فرضـــا .

والباقــي وهو النصــف للاخت الشقيقة .

ولا شيء للاخ لاب لان الاخت الشقيقة صارتعصبة مع البنت ، وبصيرورتها عصبة حجبت الاخ لاب ــ كما أنه لا شيء للاخت لام ــ لانهــا محجوبــةبالفرع الوارث وهو البنــت .

والله أعلــم ،،،



الزيارة التاريخية

قضى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فى رحلته التي قام بها فى الشهر الماضي لامارات الخليج العربي نحو عشرة أيام كان خلالها محاطا بمظاهر الحفاوة والتكريم ، وكانت هذه الزيارة موضع تعليقات صحفية متعددة منها هذا التعليق الذى كتبته صحيفة ((الرأى العام)) تحت عنوان ((الزيارة التاريخية)) تقول فيه :

لا شك أن الحفاوة البالغة التي قوبل بها حضرة صاحب السمو فى امارات الخليج الشقيقة تحمل فى ثناياها ابرز المعاني والدلالات على عمق الروابط وصدق العواطف ، وعلى أن ما بين الكويت والامارات هو أكثر مما يكون بين الأشقاء . والواقع أن الروابط التي تجمع بين الكويت وشقيقاتها هي ما يجمع بين الشعب الواحد بل العائلة الواحدة أيضا .

وزيارة حضرة صاحب السمو الأمير هي تجديد لهذه الروابط وتمتين لها ، وتدعيم للتعاون المثمر البناء ، لخير هذه المنطقة ، ولارساء نهضتها على دعائم وثيقة وصحيحة .

لقد لعب الخليج ابرز الأدوار على مسرح النهضة العالمية ، فكان رجاله يجوبون البحار ، ويوصلون القارات ، يحملون مع تجارتهم معالم المدنية والتقدم وينشرون نور العلم والمعرفة يوم كان العالم يغط فى سبات عميق من الجهل والتأخر .

واذا كان دور الخليج الفاعل على المسرح العالمي قد تضاءل ، حين توالت على الأمة العربية النكبات ، فلقد حان الوقت اليوم ، ليستعيد الخليج العربي مكانه الطليعي ليؤدى دوره الحضارى الكامل وليسهم مع القوى الخيرة فى اداء رسالة العدل والخير .

من هذه الزاوية تستمد زيارة حضرة صاحب السمو الأمير ، أهميتها الفائقة فهو رئيس للدولة الانموذج التى تعى التزاماتها وواجباتها ، وتقدم لما هو فوق الواجب والمفروض ، والتى هي الدولة الاكبر التي سبقت فى التجربة ، واستطاعت أن تكيف النظم بما ينسجم مع العادات والتقاليد المجيدة .. وتمكنت بفضل توجيهات أميرها المفدى ، أن تتبوأ مكانة مرموقة فى المحافل العربية والدولية على حد سواء ..

من هذه الزاوية بالذات ، نستطيع أن نقول ان نتائج هذه الزيارة التاريخية المباركة سوف تكون وفق ما تصبو اليه نفوس كل المخلصين المؤمنين الراغبين فى أن يروا شعب الخليج يتبوأ مركزه اللائق ، ويسهم فى صنع التقدم العالمي ، ولا يعيش على هامشه .

سلوك الغايات الكبار

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تقول

ان اولئك الذين تلهيهم بسمات أطفالهم عن دموع حرى لاطفال آخرين ، ويحجبهم فرح ذويهم عن احزان غامرة تسود حياة الآخرين .. نستطيع أن نقرر ان هؤلاء الناس لا يتمتعون بوضوح فى الرؤية ، ولا صدق فى الشعور ، فهم الى الخطأ أقرب منهم الى الصواب والى الجفوة أدنى منهم الى الحب والاخوة والمودة .. ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

وعلى هذا الطريق – ان الاغتصاب الواقع لجزء غال من أرضنا هنا ، والبلاء النازل هناك ، وظلام السجون المرخى سدوله هنالك ، لا يعنى بحال من الاحوال انعتاقنا نحن هنا فى ارضنا وذوينا وأهلنا .. من أى واحد من ذلك كله ..

ويوم تملك أمتنا أن تزيح الركام من الطريق ، فتتحرر من أذى الغاصبين فى أرضها وفكرها واخلاقها فذلكم هو المبتغى ، وتلكم هي الفرحة الكبرى .

وطريق الامة الى ذلك روح الجندية المؤمنة فى الالتزام ، وروح الجهاد الصادق فى التنفيذ ، ووحدة الشعور على أساس من نسب الاسلام ... وكأين من معركة فاصلة خاضها المسلمون كان النصر فيها منوطا بالالتزام ووحدة الشعور ، ولكأن هذه الحقيقة النابعة من هذا المبدأ في الاسلام تثبت وجودها على كل المستويات ومن خلال كل التحركات للفرد والجماعة والامة ، ولقد عاشت أمتنا ذلك فى الماضي فكان لها ما كان من طابع الذاتية وسلامة الصلة بالاسلام . ان جانبا كبيرا من معالم القوة يكمن هنا .. فاذا كان التزام صادق فقل القوة والمنعة ، واذا كان العكس – لا قدر الله – فقل وقعت الواقعة ، وسارت الحوادث فى غير طريقها المأمون .

ان امتنا التى جعلها الله خير أمـة أخرجت للناس والتي ترتبط بتاريخ غني بالعبر والتجارب ، جديرة بأن تسلك للغايات الكبار ، سبيلا على مستوى تلك الغايات قوة وصمودا ، ويومئذ يحق لها أن تفرح بنصر الله الذى هو من فضله ورحمته ((يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون))

كيف نقيم حضارة الاسلام

وكتبت مجلة رسالة الاسلام البغدادية للاجابة على هذا السؤال تقول :

يجب ان ندرك أن مظاهر الفساد المختلفة ليست اعراضا فى واقع يخالف جوهرها ، وينافى طبيعتها ليسهل علاجها ، ويمكن مقاومتها ، ولكنها وجوه ومظاهر للحضارة القائمة تلتحم واياها التحاما عضويا . ولذلك فمن ضياع الجهد أذن ان نفكر فى ان حربنـا لجانب من المنكرات الراهنة ، ينتهي وراء القضاء الظاهر عليها – اذا أمكن – لان هذا الجانب أو ذاك من الفساد لا يشكل الا فصلا من فصول الحضارة المادية القائمة ووجها من وجوهها ، ومن العبث أن تريد أن تبعد عنك ظل شجرة خبيثة قائمة بصورة نهائية بأن تعمد الى جذ فرع من فروعها ، فى حين تضرب جذوعها فى الارض ، ويسمق ساقها فى الهواء ليفرع غصونا كثيرة يمتد ظلها يوما بعد آخر .

ان اجتثاث الحضارة المادية واقامة الحضارة الاسلامية مكانها ، وجعل القرآن قاعدة للامة عليه تقوم مفاهيمها وقيمها ، ومنه تستمد مقاييسها وانظمتها هو العلاج الوحيد للوضعية المتهرئة ، وللتبعية الخانعة التى تعيشها الامة اليوم ، فهى بذلك تسترجع مركزها وتستعيد اصالتها وتقضى على مشاكلها .

مرحبا بالبطل

وتحت هذا العنوان جاء فى الملحق الديني لصحيفة الجمهورية القاهرية .

يزور الجمهورية العربية المتحدة حاليا البطل العالمى المسلم محمد على كلاى ، ونحن اذ نرحب به فى بلادنا وعلى أرضنا ، فانما نرحب به كرمز لانتصار الايمان والارادة القوية .

لقد تحدى محمد على كلاى كل القوى الشريرة ، انتصر على جميع المعوقات . حارب التفرقة العنصرية وتحمل فى سبيل ذلك الكثير من المشاق والمتاعب ، ولكنه لم يهن ولم يضعف .

وعندما أعلن البطل اسلامه لم يشأ أن ينكره بل جاهر به وافتخر باسلامه ، حتى عندما وقفت ضده كل العناصر التى آلمها اسلام البطل وحاولت أن تحطم هذا الايمان . لم ييأس . حاربوه فى رزقه . فى شهرته . وقفوا له بالمرصاد . أذاعوا عنه الاتهامات الباطلة والدعايات المضللة ، وبرغم ذلك كله صمد البطل وانتصر فى كل معركة خاضها . وكان الايمان هو الدافع القوى لصموده ومن ثم لانتصاره .

لقد رفض محمد على كلاى كل المغريات المادية والأدبية ، وآثر ان يعيش مسلما عزيزا كريما حرا . يناضل ويكافح فى سبيل ايمانه . لقد كانت ارادة البطل أقوى من كل شيء . وهكذا يكون الايمان وتكون التضحية فى سبيله .

فمرحبا بكلاى الذى أصبح صورة كريمة للرجل المسلم ، ومرحبا بالبطل القوى .. المنتصر . مرحبا بمحمد على ((كلاى)) .

ممنوع دخول الخنافس

وطالعتنا مجلة المصور القاهرية بهذا الخبر والتعليق عليه :

لقد منع ديجول دخول الخنافس الى فرنسا ، حتىلا يشجع هذه القدوة السيئة التى أرخت شعور شبان العالم فى السنوات الاخيرة ، وضيقت خواصرهم ، ورفعت كعوب أحذيتهم ، حتى أصبح من الصعب عليك وانت تمشي فى شوارع روما وبرلين ولندن ونيويورك ، ان تميز بين الفتى والفتاة !

على ان فرنسا لم تمنع دخول الخنافس فقط ..بللقد منعت سائحا اجنبيا من دخول فرنسا ، لمجرد انه يطلق شعر رأسه على طريقة الخنافس ..

اننى اذ احيي ديجول على هذه المبادرة الاخلاقيةالكبيرة ، آمل أن تحذو حكوماتنا العربية المسلمة هذا الحذو ، فتمسك بالرقعاء الذين يقلدون الخنافس ، ويملؤون الشوارع والمقاهي ، وتحلق رؤوسهم ، وتعطيهم (علقة) ساخنة فى أقسام الشرطة لعلهم يثوبون الى رجولتهم فى مثل هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا ، فان وجود انصاف الرجال عملا هداما .. وحاجة تكسف ..

ازمة الضمير العربي

وجاء فى مقال تحت هذا العنوان نشرتهمجلة الرائد العربي الكويتية ما يأتى —

ان الازمة الراهنة للضمير العربي هي وليدة الكثيرمن الرواسب فلا يمكن مع انبعاث العصبية وعبادة مراكز الرياسة ، وفقدان التوازن المادى للمجتمع ،ولا مع محاولات تسخير الدين للمظاهر وخدمة المنافع الضيقة ، ولا مع التقليد المضحك الغبي لحضاراتالامم الاخرى ، لا يمكن مع هذه جميعا أن تبرز الذاتية المبدعة للنهضة المتينة الاساس .

ان العالم كله ليتجاوب بطريقة خاصة مع أحداثالامة العربية فى محاولاتها لحل ازماتها الراهنة ، وذلك على ضوء التجارب التاريخية الماضية ، وحاجةالارض الى من يمنحها سلما شريفا لا يفرق بين الاسود والابيض . سلما خاليا من الاستغلال والظلم ،سلما بريئا من التعصب والضيق ، ملء اعطاف البر والتكافل الانساني ، والصيانة من الجوع والترفوالبطالة ، سلما ينتظم القلوب العامرة والحدائق المزهرة ، والمصانع الحافلة ، سلما يسوى بين انسانيةواحدة ، ثم يربطها بالهها الواحد .

وليس من ريب أن كل معسكرات الاستغلالوالتسلط والالحاد تضع ايديها على الزناد فى وقت ارتقاء نهضتها الى معارج رفيعة .

ان أول كلمة تنزل بها الملاك الطهور على قلبالرسول ان (اقرأ باسم ربك) ان هذه الكلمات الثلاث تستطيع ان تشكل الاطار الحق للنهضةالراهنة التى تنحل بها عقدة الازمة فى الضمير العربي ، اننا مطالبون بالقراءة .. بالعلم الذىتنطوى عليه القراءة ، بالمعرفة التى هي نبع القوة ، ولكن شريطة أن تتم المعرفة والعلم والقراءة ، ومايبنع عنها من القوة باسم الله ، وفى خدمة الله ، اى خدمةالحق والعدل والرحمة ، وخدمة البر والسلام..اليس الله تعالى هو الحق الرحمن الرحيم .. ، السلام المؤمن المهيمن ، وهكذا تتجه الحياة الى حلمهاالجميل دون هذه السخرة للشيطان .

هذه هي الابعاد الشاسعة لرسالة الامة العربية فىهذا الزمان ، ومن دون تحقيقها لا بد من التلطف فى حيازة أقصى ما وصل اليه العلم وبلغته القراءة ثمجعل ذلك كله تحت لواء الله ؟

فهل عجيب ان ترتفع حرارة هذه الامة وهي تعانيعملية انصهار شديدة فى هذه الفترة ؟

وهل قليل ما يجابهنا ونحن نقبس أسباب التجمعوالقوى المادية من أمم لا يضارع قوتها بالعلم الا انحرافها المخيف عن أهداف العلم فى المثل الاعلى .

ان نهضة الاسلام مرهونة بنهضة العرب ، ونهضةالبشرية من عثرات الحروب والقلق والضياع ومن اشكال التعصب والغطرسة والاستغلال مرهون كلهبنهضة الاسلام ..



مولد الهادي

بعث الاستاذ اسماعيل حمود عطوان المدرس بمدرسة التربية الاسلامية ببغداد ، قصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها : ـ

قبس ذو سناء — يملأ الكون ضياء
قد سرى بين الروابي — نور بشر وبهاء
والدجى أخفاه بدر — سابح حول الفضاء
كوكب المولد يزهو — بين أرجاء السماء
ولد الهادى يتيما — ملأ الرحب هناء
عاش فى أحضان نبل — وخيار أمناء
نشأت فيه خصال — ساميات في العلاء
قوله صدق وحق — قد خلا منه افتراء
ولقد كان أمينا — وشجاعا ذا مضاء
ونزيها قد تسامى — عن دعاوى السفهاء

أمنية العمر

الحديث عن الاماني حديث عذب شفاف والاستاذ ع.س.ع يكاد اسلوبه وهو يتحدث عن أمنية العمر يسيل رقة وصفاء ، فيقول : ـ

قال صاحبي الذى عاد من الحج أخيرا.. ادركتني رحمة الله حين اختارني مولاى عز وجل لتأدية فريضة الحج هذا العام .. وذهب بي الى مسجد الرسول الاعظم فى مدينته المنورة .. وهناك سلمت على الحبيب ولا شك انه رد على السلام ! فروحه كما ورد فى الحديث الشريف ترد اليه حتى يرد السلام على من يلقيه عليه ! وعشت مع نفحات الرسول الاعظم فى رحاب المسجد الفسيحة .

وكانت أياما ! أياما جميلة جمال الروح وطهارتها .. أياما هي خلاصة العمر .. أحلى اماني العمر .. تهون الدنيا وتهون اللذائذ .. وتهون المطامع والمطامح .. ويهون كل شيء .. وتتفه الدنيا ويتفه معها الطواغيت .. ويولى سلطان المادة .. وتعيش الروح نفسها .. فاذا هي تخفق بأجنحة ربانية فى ملأ علوى بكر .. كله طهارة وكله خشوع .. وكله حمد وتسبيح .. وكله ذكر ونشوة .. يا لله ما احلاها مسرة تهون معها جميع المسرات .. كما وصفها الصوفى العارف ابو يزيد البسطامي حين قال :

لو عرف الملوك ما نجد لقاتلونا عليه ..

وأضاف صاحبي : وفى سهول المدينة وبقيعها وأحد ، وفى شعاب مكة ، وعلى جبل النور فى غار حراء ، وفى منى وعلى جبل الرحمة فى عرفة عشت تجربة مليئة طوفت خاشعا ذاكرا ملبيا حامدا شاكرا لله فيوضه وأنعمه وفتوحاته .. وكنت اهتف من كل قلبي يا ليت هذه الايام تطول ! كان هناك مهرجان

للروح .. وكان هناك موسم ربيعي للقلب .. وكان القلب طوال الوقت مشدودا الى السماء بحبال من نور .. لرب النور ..

وزاد صاحبي .. يا ليتك يا أخي تقوم بهذه التجربة الروحية .. وتمر في تلك الساعات الخاشعة .. وتسيل منك العبرات ويخفق منك الفؤاد .. وتستشعر تلك اللذة العبودية الحقة لله الذي يستحقها وحده (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) .. (يا ليتك تطوف بالكعبة بالبيت العتيق اول بيت وضع للناس .. بيت ابراهيم واسماعيل .. وتستلم الحجر الأسود أو تتعلق بأستار الكعبة .. فيقشعر منك البدن .. ويلين منك القلب من خشية الله ..

ما أروعها من تجربة كنت ابدأ الطواف بحال .. فما هي الا لحظات حتى يتغير مني الحال .. وتعود النفس غير النفس .. وتنطلق بالتلبية والدعاء وهي تردد : اللهم لا عيش الا عيش الاخرة .. اين ذهبت الدنيا ، وكيف تجسمت الاخرة امام الروح فذهلت عن الواقع الى عالم الروح .. هذا كله بقدسية هذه البقعة المقدسة .. بؤرة الاشعاع الروحي .. قبلة كل مسلم في كل ركن من اركان الارض ما كان اروعها من تجربة تجل ـ والله ـ عن الوصف « ولا يمكن ان يحيط بها القول ولكني اكتفي بقول الشاعر العربي القديم :

وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

ثورة الامام الحسين

ومن كلمة للاستاذ مجتبي الحسيني بكربلاء بمناسبة الاحتفال بذكرى مقتل سيد الشهداء : ـ

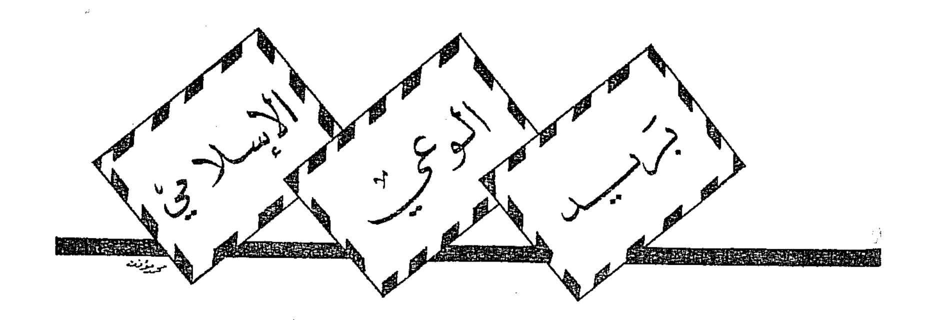
في مطلع كل عام هجري تتجدد ذكرى ثورة سيد الشهداء ، وابي الاحرار الكرام ، الامام ابي عبد الله الحسين بن علي بن ابي طالب ـ سبط الرسول المصطفى ، ونجل علي المرتضى ، وعزيز فاطمة الزهراء ، وأخ الحسن الزكي ، ووالد الائمة الاطهار ..

في مطلع كل عام هجري تتجدد ذكرى تلك الثورة المباركة ، ولم يمر على المسلمين عام واحد منذ ان ثار الامام الحسين الى الوقت الحاضر الا وكان لذكراها الحزينة الباكية دوى هائل في النفوس ، في كل قطر ضم فريقا من المسلمين ، وفي كل بلد استوطنه جماعة من المؤمنين .

وهنا سؤال يفرض نفسه قائلا : ولماذا لا تنمحي هذه الذكرى من الخواطر والنفوس بعد أن مضى على تلكم الثورة الف وثلثمائة عام او تزيد ؟ والجواب ان امتداد ذكرى الثورة يختلف باختلاف طبيعتها من ناحية الهدف مادة وأسلوبا ، وقوة وضعفا .... ، فهناك طائفة من الثورات يفجرها اصحابها طمعا في حيازة الكراسي ، وشغفا بالسلطة ، وحبا للحكم .. ونجد طائفة أخرى منها تهدف لابتزاز الاموال الطائلة والاستيلاء على كميات كبيرة من الحطام .. ونشاهد طائفة ثالثة تقوم لحساب ومصلحة القوميات والعصبيات والطائفيات .. ونرى طائفة رابعة هدفها اصلاح موضعي ، او تصحيح خطأ من الاخطاء التي تضر الدولة والشعب .. وهكذا .. وهكذا .. ولذلك ـ تجد ذكراها تخلد بخلودها نفسها ، وما دامت اسبابها وعواملها باقية ، اما حين تزول تلك الاسباب والعوامل من المجتمع فلا تعدو أن تضمحل ذكراها في الافئدة والنفوس مباشرة وبلا فاصل . وحيث ان ثورة الامام الحسين كانت ثورة الاسلام على الكفر ، والحق على الباطل ، والمظلوم على الظالم ، وحيث ان معركة الاسلام والكفر ، وحرب الحق والباطل وملاحقة الظالم والمظلوم لم تزل قائمة ولا تزال الى أبد الدهر ، فلذلك كله لم تزل ولا تزال ذكرى واقعة الطف الفجيعة تتمثل أمام الناس ، ما دام هناك اسلام وكفر ، وحق وباطل ومظلوم وظالم !!! .

وبعد ذلك السؤال يأتي دور سؤال ثان يقول : وما الفائدة في هذه الذكرى واحيائها وتجديدها في رأس كل عام ، وما يمكن للانسانية أن تجتنيه من مكاسب ومنافع ذكرى عاشوراء ، وثورة الامام الحسين ؟

والجواب : ان أول فائدة واهم منفعة واكبر كسب ، تحصل الانسانية عليه من هذه الذكرى الثورية العظيمة هو : عدم الرضوخ للباطل ، والثورة في وجه الحكام المستغلين الظالمين .



مثل عليا

هــل تولى الأئمة الأربعــة ــ رضى اللهعنهم ــ مالك وأبوحنيفة والشافعي وأحمد مناصب فى الدولة وكانوا يتقاضون عليهامعاشات شهرية واذا لم يكونوا ، فما هي مصادر الدخل التي كانوا يتعيشون منها ،وكيف كانت معيشتهم ؟

(اسماعيل حمدون ــ الاردن) .

● **المعروف عن الامام مالك بن أنس أنه أثناءطلبه للعلم كان يعيش فى قل من المال ، ويروى أنه كان له أربعمائة دينار كان يتجــر فيها ، ومنهــا كان قوام معيشته ، فلما ذاع فضله ، اتصل بالخلفاء والولاة ، وآتاه الله بسطة من العيش، بما كانوا يغدقون عليه من الهدايا ، وكان رحمه الله يعتقد أن للعلم حقا فى بيت المال ، وأن الحكام لا يعطونه هبة مــن مالهم ، وانما يجرون عليه رزقا لانه حبس نفسه على العلم والدرس والفتيا وانقطع عن الكسب ، فكان حقا على بيت المال أن يسد حاجته ، وأن يعطيه ما يكفيه وأهله بالمعروف وقد بدت عليه آثار النعمة فى كل مظهر من مظاهر حياته فى مأكله وملبسه ومسكنه ، ومما يــؤثر عنه قوله ما أحب لامــرىء أنعــم الله عليه ألا يرى أثر نعمته عليه ، وخاصة أهل العلم .**

أما أبو حنيفة النعمان بــن ثابت ــ رحمه الله فقد نشأ فى بيت من بيوت التجارة بالكوفة ، وعاش فى بحبوحة من العيش لانه استمر تاجرا الى أن مات ،وكان له شريك عاونه باخلاص ليفرغه للعلم والفقه والحديث ، ولم يقبل عطاء الحكام ، ولم يأخذ شيئا من بيت المال ، ومع هذا الورع الشديد ، فقد كان حريصا على أن يستمتع بالحياة استمتاعا حلالا خالصا فكان يعنى بثيابه ، ويلبس جيدها حتى روى أن كساءه كان يقوم بثلاثين دينارا .

عرض عليه أبو جعفر المنصور أن يتولى القضاء ،فقال له الامام الأعظم لا يصلح للقضاء الا رجل يكون له نفس يحكم بها عليك وعلى ولدك وقوادك ، وليست لى تلك النفس ، فقال له المنصور لم لم تقبل صلتى ؟ فأجاب . ما وصلني أمير المــؤمنين بشىء مــن ماله فرددته ، انما وصلنى من بيت مال المسلمين ، ولا حق لي فى بيت مالهم . اني لست ممن يقاتل من ورائهم فآخذ ما يأخذ المقاتل ، ولست من ولدانهم ، آخذ ما يأخذه الولدان ، ولست من فقرائهم ، فآخذ ما يأخذه الفقير .

أما محمد بن ادريس الشافعي عالم قريش ــ رحمه الله ــ ، فقد عاش فى نشأته الاولى عيشة اليتامى والفقراء مع الاصل العريق والنسب الرفيع ، هاجر الى المدينة ولزم مالكا وعاش فى كنفه نحو تسع سنين ولما مات مالك أراد الشافعي عملا يعيش من رزقه ،فتوسط له أحد القريشيين عند والى اليمن ،فأخذه

الوالى معه ، يقول الشافعي فى ذلك . ولم يكن عندأمى ما تعطيني ما اتحمل به ، فرهنت دارا فتحملت منه ، فلما قدمنا عملت له على عمل .. والعمل الذى تولاه الشافعي كان بنجران ، فسار فيها بالعدل والقسطاس ، لم يتملق واليا ، ولم يصانع غنيا . قال الشافعي وليت نجران ، وبها الحارث بن عبد المدان وموالى ثقيف ، وكان الوالى اذا آتاهم صانعوه ، فأرادوني على نحو ذلك ، فلم يجدوا عندى ثم تنقل الشافعي بين مكة وبغداد وآخيرا استقر به المقام فى مصر ، ويروى انه قال عند رحيله اليها .

لقد اصبحت نفسي تتوق الى مصر	ومن دونها قطع المهامة والقفر
فوالله ما ادرى ألفوز والفنى	اساق اليها ، ام أساق الى القبر

ولقد حقق الله له كلا الامرين ، فقد نال الغنى اذ فرض له الوالى العربى عطاء من سهم ذوى القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أدركه الموت بها .

أما امام دار السلام وشيخ الفقهاء والمحدثين فى عصره احمد بن محمد بن حنبل ، فقد عاش فقيرا . وترك له والده عقارا صغيرا يغل كل شهر سبعة عشر درهما ، كان الامام ينفق منها على عياله ، وكانت الحاجة تضطره أحيانا لان يعمل بيده ليكسب قوته وقد امتنع عن الاخذ من بيت المال ، ورضى بأن يعيش عيشة الكفاف على أن ياخذ مالا لا يدرى أجمع بحله ، أم جمع بغير حله . قال اسحق بن راهويه كنت أنا وأحمد باليمن عند عبد الرازق ، وكنت انا فوق الغرفة ، وهو أسفل فاطلعت على أن نفقة أحمد قد فنيت ، فعرضت عليه فامتنع ، فقلت أن شئت قرضا ، وان شئت صلة ، فأبى فنظرت اليه ، فاذا هو ينسج التكك ، ويبيع وينفق .

• الاستاذ عبد المنعم محمد حلمى

الخطاط بمحافظة القاهرة

تضمنت تحيتكم الشعرية الرقيقة ردكم على الاستفتاء الذى وجهته المجلة الى القراء بمناسبة دخولها فى عامها الثاني ، وسننشر التحية فى العدد القادم .

• الاستاذ محمد عبد الجبار الشبوط

بغداد ــ الكرادة الشرقية

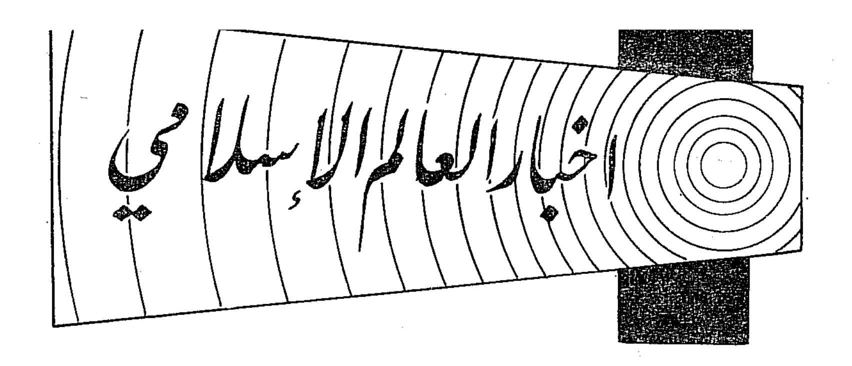
نشكرك على ثقتك بالمجلة التى تقرأها من الغلاف الى الغلاف، ونعتز بصداقتك ونرحب بجميع ماترسله وننشر منه ما يتفق مع مخططنا ، وفى باب الاخبار طائفة من أخبارك .

• الاستاذ ع . ص ــ الكويت

قصتك الواقعية التى أرسلتها بعنوان الايمان سلاح قوى ، والتى تصور أثر الصلاة فى نفس المؤمن وتحصينها ضد المغريات مناسبة ولكنا ننصح بالاتتحدى السمراوات والشقراوات ، فانه مسلك غير مامون العاقبة .

• الأخ أبو عبد الله بالموصل

وصلتنا طرائفك، ونحيى فيك روح الاطلاع والقراءة وهواية الكتابة ، ونترقب المزيد من مطالعاتك .



الكويت

قام صاحب السمو امير البـلاد حفظه الله بزيارة الى العـراق الشقيق استمرت أربعة أيام ، احيط فيها سـموه بمظاهر الحفاوة والتكريم ، حيث جرت مباحثات فيما يهم البلدين خاصة والعرب عامة .

* صرح سعادة خالد احمد الجسار وزير العدل بمناسبة عودته من زيارته الرسمية للجزائر والمغرب بأنه يحمل رسالة شفوية الى حضرة صاحب السمو امير البلاد من سيادة العقيد هوارى بومدين . وان الرئيس الجزائرى كرر الدعوة لسمو الامير لزيارة وطنه الثاني الجزائر .

* يجرى البحث حاليا بشأن انشاء كلية للطب ضمن الكليات التى تضمها الجامعة الكويتية ..

* استقبل سعادة عبـد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية فى مكتبه ، السيد القائم بأعمال السفارة الهندية فى الكويت ، حيث قدم له الامير اسماعيل شهاب الدين شقيق سلطان البهرة وقد دار البحث خلال الاجتماع حول شؤون المسلمين فى الهند .

* قررت لجنة المساعـدات الاسلامية الخارجية التبرع بمبلغ (٣) آلاف دينار لمعهد الجالية الاسلامية فى امريكا وبمبلغ خمسة آلاف دينار للمدرسة الآصفية الدينية فى الفلوجة بالعراق الشقيق .

* وافق مجلس الامة على اقتراح يقضي باطلاق اسم شهيد الاسلام المغفور له المشير الركن عبدالسلام محمد عارف على أحد شوارع الكويت الرئيسية .

* زار البلاد وفد مـن مسلمي الصين الشعبية قادما من بغداد ، وذلك ضمن جولة يقوم بها فى عدد من البلدان العربية والاسلامية لتوطيد التفاهم بين المسلمين الصينيين ومسلمي هذه البلدان .

القاهرة

* قررت وزارة الاوقاف ايفاد مبعوثين مـن أئمة المساجد الى الدول الافريقية ، لنشر الثقافة الاسلامية هناك .

أقام فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر حفل تكريم للبطل العالمي محمـد على كلاى ، الذى وصل للقاهرة بدعوة من سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، .

وافقت لجنة الخدمات الثقافية والاعلام بمجلس الامة على اقتراح بتطوير محطة اذاعة القرآن الكريم بحيث تقدم برامج دينية ، وان تقوى المحطة بحيث يمكن أن تصل برامجها الى الدول الافريقية والاسيوية لنشر الثقافة الاسلامية .

* تم فى غزة انشـاء مدينة أزهرية تضـم مساكن للطلبـة والعلمـاء ، ومبنى المعهـد الذى يضـم المرحلتين الاعدادية والثانوية . وتدرس الجهـات المختصة انشاء اول كليـة فـي المدينـة تتبع جامعـة الازهـر فـي القـاهرة .

العراق

صرح سفير تركيا فى العراق أنه سلم رئيس الوزراء الدكتور عبد الرحمن البزاز الرسالة الموجهة من قبل رئيس وزراء تركيا بشأن دعوته لزيارة تركيا رسميا .

أصدرت كلية الفقه بالنجف الاشرف مجلة دينيةحافلة بالبحوث القيمة ، والدراسات الاسلامية فى قضايا العقيدة والفكر .

أقيم فى بغداد حفلة تابين كبرى لفقيد العروبةوالاسلامالرئيس المشير الركن عبد السلام محمدعارف، وقد اشترك فى الحفل وفود تمثل البلاد العربيةوالاقطار الاسلامية .

السعودية

* قام الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض بزيارة لامارات الخليج ونزل ضيفا على الكويت بدعوة من سعادة وزير الخارجية .

* زار السيد ادريس المحمدى مدير عام الديوان الملكي المغربي جلالة الملك فيصل وسلمه رسالة من جلالة الحسن الثاني ملك المغرب ..

* تم الاتفاق بين السعودية والأردن على تدريب عدد من طلاب السعودية على الشؤون الزراعية .

الاردن

افتتح الملك حسين العمل فى مشروع سد المخيبة ،ووضع الحجر الاساسي لهذا المشروع الجبار ، وسط جموع من المواطنين ، يتقدمهم ممثلو الملوك والروساءالعرب ، ووفود القيادة العربية الموحدة والجامعة العربية .

السودان

قررت حكومة السودان انشاء ادارة خاصة للشؤونالدينية . كان اول عمل للمصلحة الجديدة اقامة عدة مراكز تعليمية للمحافظة على القرآن الكريم .

أخبار متفرقة

المانيا

أقام اتحاد الطلبة المسلمين فى برانشويج بالمانيادعوى جزائية على رئيس تحرير مجلة شتيرن الالمانية لنشرها مقالا تضمن كثيرا من المفتريات عن وضع المرأةفى الاسلام . وقد رفضت هذه الدعوى مع الاسف بحجة أن القانون الالمانى لا يعترف بالاسلام كدينرسمى .

بلجيكا

كون الطلبة المسلمون فى بلجيكا اتحادا لهم باسماتحاد الطلبة المسلمين فى بلجيكا . وقد أصبح هذا الاتحاد عضوا فى أسرة اتحاد الطلبة المسلمين فى أوروبا

امريكا

وجه اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدةوكندا رسالة الى الرئيس جونسون ورئيس ولاية أوهايو ورئيس بلدية كليفلاند يستنكر فيها الصورة التى عرضتها مؤسسة الامراض العقلية فى امريكا عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

بانكوك

اجتمع الامير عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا فىشمال الملايو ببعثة صداقة اندونيسية لتمهيد الطريق نحو اعادة العلاقات بين البلدين الى سابق عهدها .

طشقند

تبرعت الهيئات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتي بمبلغ ١٤٤ ألف دولار لاعادة بناء مدينة طشقند التى هدمتها الزلازل فى الفترة الاخيرة .

نيجيريا

بدأ المركز الاسلامي فى مدينة أبادان بنيجيريابرنامجا لتعليم اللغة العربية للشباب النيجيرى .. ومما يذكر ان للازهر بعثة هناك تعمل فى عدة بلاد

مكتبة المجلة

قادة فتح الشام ومصر

الكتاب الثالث من سلسلة كتب قادة الفتح الاسلامي التي يصدرها اللواء الركن محمود شيت خطاب .

وهذا الكتاب يحتوى على سير القادة العرب المسلمين الذين زلزلوا عرش قيصر فى أرض الشام وفى أرض مصر أيضا ، أمثال أبو عبيدة بن الجراح ، وأسامة ابن زيد ، والزبير بن العوام ، وعمرو بن العاص ، وعبادة بن الصامت ، وعشرات غيرهم من الذين حملوا رايات الاسلام شرقا وغربا .

والكتاب فى ٣٩٨ صفحة ومزود بالخرائط والرسوم ، وقامت بطبعه دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت وثمنه (٧) ليرات لبنانية .

خواطر فى النقد الادبي

فصول شيقة مفيدة فى النقد الادبي ، تثير لدى القارىء شغفا به وتهديه فى سلوك سبله قدر المستطاع ، والمؤلف الفاضل الاستاذ عبد الله عبد الهادى العاني مولع بالادب ، وهو اذ يقدم الى القراء هذا الكتاب فانما يقدم لهم جهدا مشكورا لا شك فى قيمته ، وفى فائدته ، وفى قصده الى توجيه الافكار والعناية بهذا الموضوع والاهتمام به والكتاب فى (٧٦) صفحة من طباعة مطبعة المعارف ببغداد العراق وثمن النسخة الواحدة ١٥٠ فلسا .

الكويت ماضيها وحاضرها

كتاب فى ١٢٦ صفحة من تأليف الاستاذ ابراهيم الحر وهو يبحث فى تاريخ وجغرافية الكويت ومراحل تطورها وتقدمها ، والنهضة الثقافية والتعليمية فيها كما تطرق المؤلف أيضا الى الناحية الاسلامية ، فتحدث عنها باسهاب مبينا دور العلماء فى نشر هذه الرسالة الدينية والكتاب من مطبوعات مطبعة الاديب ببغداد ، وهو مزود بكثير من الصور التي تبين هذا التقدم الذى تسير فيه دولة الكويت قدما الى الامام .

حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسنة

كتاب من تأليف الاستاذ محمد ناصر الدين الالباني يقع فى ١٢٢ صفحة يبين للناس الزى الواجب على المرأة الادثار به اذا خرجت الى المجتمع ، والشروط الواجب تحققها فيه حتى يكون زيا اسلاميا واستند المؤلف فى كتابه على القرآن والسنة ، واسترشد بأقوال الصحابة والائمة والكتاب من منشورات المكتب الاسلامي ببيروت — لبنان ، وثمنه ١٥٠ ق.ل.

لآخر رمق

مجموعة قصص قصيرة بقلم الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد جمعت فى ١٣٤ صفحة ، وطبعتها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر بمطبعة الاستقامة بالقاهرة .. والكتاب الذى أهداه مؤلفه الى المجلة حائز على كأس القصة القصيرة لعام ١٩٦٥ ، ومجموعة قصصه اجتماعية هادفة يستحق مؤلفها فعلا مثل هذا التقدير ...

اقرا فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، فيما عدا شمال أفريقيا :ــ

بغداد : ــ مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

عمـان : ــ وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

بيروت : ــ الشركة العربية للتوزيع ــ لبنان .

القاهرة : ــ توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الخبـر : ــ مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب ــ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ــ مكتبة الثقافة ــ السعودية .

الطائف : ــ مكتبة الثقافة ــ السعودية .

المدينة المنورة : ــ مكتبة المنار .

عـدن : ــ وكالات الاهرام التجارية ــ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ــ المكتبة الوطنية وفروعها ــ السيد فاروق ابراهيم .

المكـلا : ــ مكتبة الشعب ــ ص ب (٢٨) المكلا ــ حضرموت .

دبـى : ــ المكتبة الاهلية ــ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ــ المكتبة الاهلية ــ السيد حسن قمر سلطان .

قطـر : ــ مكتبة الثقافة ــ الدوحة ص ب (٨٤٢) .

بورسودان : ــ مكتبة كردي ــ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

الكويت : ــ مكتب منار للتوزيع ــ شارع فهد السالم ص.ب ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



صورة فنية رائعة لجزء من داخل المسجد

في أجمل بقعة في مدينة ((واشنطن)) عاصمة الولايات الأمريكية . وفي حي السفارات الفخم .. وعلى مساحة ثلاث آلاف متر ، ووسط حديقة رائعة التنسيق يقوم بناء المركز الاسلامي حول المسجد الذي ترتفع مئذنته الشامخة تعلن كلمة التوحيد في الدنيا الجديدة ، وقد وضع الحجر الاساسي لهذا الصرح الاسلامي الشامخ في ١٩٤٩م واشتركت جميع الدول الاسلامية وبعض المسلمين الامريكان في تكاليف الانشاء التي بلغت مليون دولار ، كل دولة حسب طاقتها :

مصر فباكستان فالسعودية فبقية الدول الاسلامية . وكان الدكتور محمود حب الله الأمين الحالي لمجمع البحوث بالأزهر أول مدير للمركز سنة ١٩٥٢ وتم في أيامه معظم المباني ، ثم افتتح رسميا بعد اتمامه في ٢٢ يونيو ١٩٥٧ حين كان الدكتور محمد بيصار مديرا للمركز وذلك في حفل كبير ضم السفراء والدبلوماسيين وأبناء الجالية الاسلامية في انحاء امريكا ، وحضره الرئيس الامريكي الاسبق دوايت ايزنهاور وقرينته .

وتعتبر هندسة المسجد ، ونقوشه الفنية الرائعة ، والآيات القرآنية التي زينت جوانبه آية في الابداع الفني التي تنطق هناك بمهارة الفنان العربي وأصالته .

هذا ويشغل منصب مدير المركز الآن الدكتور علي حسن عبد القادر العميد السابق لكلية الشريعة بجامعة الأزهر .